"الفاشل"

رواية قصيرة

أوكفيل عبد الحكيم الجزائري البلوزدادي

إهداء

إلى كلّ من ظُلم بغير حقّ، من ذاق مرارة الاستبعاد ثمّ شارف على الاستسلام، إلى من مالت به رياح الحياة و كادت تقصمه ... كادت تنهيه ... اقرأ هذه الرواية ثمّ فكّر، عُد إلى نفسك فلا تملك في الأخير غيرها، ولا تنس بعد العودة أن تشحذ سلاحك من جديد، أن تزيل الصّدأ العالق عليه سنينًا طوالا، فكلّ يوم في هاته الدّنيا أنت فيه مُقاتل تحتاج فيه ما يُبقيك في المعركة حيًّا، و يجعلك بإرادتك فيما بعد على أعدائك منتصرًا ...

خذ العبرة من الحياة ... و انتصر لنفسك.

" نعتوني بالفاشل، حتّى أريتهم أقصى ما يمكنه إنسان"

"وحيد"

الفصل الأول: وحيد

وحيد،ثمانية و عشرون سنة، من عائلة جدّ بسيطة، تكاد تكون فقيرة، لازلت أعزبا، أعيش حياةً لا يتمناها جلّ من عرفوني، في بلد يهرب منه من استطاع بقدر ما أمكن، بلد بلغت شتائم أبنائه و لعنات آبائهم و أجدادهم عليه مبلغ مشاكله التي يتخبّط فيها، لماذا يا ترى؟ ما الذي يدفعني لأن أقول ما قلته؟، لأنه بعد فرحتي التي لم تدم طويلا بشهادة الماستر في إدارة الأعمال، وجدتُ نفسي تراوح نفسها، في حلقة لعينة مغلقة تسمى البطالة، دائما ما أُحدّثها قائلا: لا داع لأن تتحسّري كما فعل الآخرون، و كما تذمّر كلّ من وجد نفسه لصيق جدران الشّوارع، لأنّ ذلك يزيد من سخطك على كلّ من حولي و ما حولي دون فائدة، ما حزّ في نفسي حقًّا هو عدم اكتراث الآخرين بي مع جلل المصاب فيّ و في ذويّ، تجدهم أقرب الناس دما لكنّهم أبعدهم رحمة، يتألمون بأفواههم كذبا و قلوبهم فرحة بمُصابي، راحتهم في عذابي، و عذابهم في خلاصِي، نعم هم أقرب الناس غير أنّهم تركوني نطيح مصائب الحياة و أهوالها مع ضعف الحيلة و القدرة، لا أجد أحدا ليعينني، تخيّلوا فقط، أنا وحدي من يعيل أمّي المريضة المسنّة، و ستة أخوات أكبرهن فاقت الخامسة و الثلاثين و لم تتزوّج، أصغرهن تدرس السنة الأولى متوسّط، ما يحتاجونه يفوق طاقتي، و مع منحة الرّاحل أبي التي لا تسمن و لا تغني من جوع كنت مضطرًّا لأن أعمل و بأسرع وقت حتى نخرج من هذا النّفق المظلم، المؤونة و الكراء، الكهرباء، الغاز و الماء، الدّواء و غيرها من المصاريف و الأعباء التي أثقلت كاهلي كما أثقلت كاهله فيما قبل، فما وجدت سوى هذا المخرج بعد طرقي ألف باب... عامل نظافة.

استعنت بشهادة إثبات مُستوى لم أعرها اهتماما حتّى أفتك عملا لم أحسب يوما أنّه سيكون منقذي و منقذ عائلتي من الهلاك، لا أغالي حينما قلت "هلاك"، لأنه و قبل أن أبدأ العمل في الشركة الخاصة كعامل نظافة لم يكن في المنزل قطعة خبز جافة نقتسمها فنعيش بها على أمل أن تتحسّن الأوضاع، بقينا جوعى ثلاثة أيّام متتالية، نشتم فيها رائحة الطّعام الشهيّ تتسلّل من النّوافذ المغلقة و الأبواب الموصدة، فأرى وجه أمّي المسكينة ينكمش مُخفيا بين

طيّاته أنينا و ألما لا يُطاق، كذلك أوجه أخواتي الصّابرات المحتسبات القانطات المتحسرات، غير أختي الصّغرى "أمل" التي كانت تقول:

" لماذا نحن ؟ لماذا لسنا كالآخرين ؟".

" أنا جائعة ... أريد أن آكل".

هذا ما كتبه الله، و على الإنسان أن يصبر و يقتنع ثمّ يجتهد حتّى يحسّن وضعه، هكذا إن ذكرت الله فستضمن خضوع المستمع لما يليه من القول، لكن، هل سيتقبّل ذلك بطن صغير يصرخ جوعا و تتلوّى أحشاؤه فراغا؟ و هل سيعي ذلك عقل لم تصله "السكريّات" ليدرك أنّ المصاب اختبار و امتحان؟

لا أظنّ.

سيبقى التذمّر و يزيد ليصيب أقلهنّ جلدا ثمّ ينتقل بالتّدريج ليضعف الواحدة تلو الأخرى، حتى يصل إلى أكثرهن صبرا فيُنطق لسانها بما لا تريد تذمّرا و شكوى، و هذا الذي لا أريده، أن تعاتبني أمي على مصيبة لم أكن سببًا فيها، لكنّ الواقع "غول" يخيف الكلّ و يدفع إلى ما لا تحسبه ممكنا.

كانت و لا زالت أمّي تقاوم، تدعو لي بالتّوفيق و النّجاح و على وجهها ابتسامة مفتعلة لطيفة.

في ذاك الشّهر أتذكّر أنّنا بعنا خاتمها لكي نكمل تلك الأيّام القلائل، تماما قبل أن أقبض أجرتي الأولى، لم تكترث أمّي و لم تحزن لفقدانه، بل فرحت لأن الفرحة عادت و ارتسمت من جديد على أوجه أبنائها، المهمّ بالنسبة لها أنّنا أحياء و بصحّة جيّدة.

بقدر إحساسي العميق بالحزن حينما أرى شهادة الماستر معلّقة في المطبخ –لأنّ المطبخ يتحوّل إلى غرفة ليلا، المقصود غرفتي أنا أمّا الغرفة الأخرى فلأخواتي البنات- والتي لم تنفعني في اقتناص منصب بقدر مكانتي العلمية، بقدر سعادتي كوني عامل نظافة الآن، في الأيّام الأولى كان الاستياء كبيرا، لكن أن تأكل و تشرب و تلبس و تقضي حوائجك الأساسية و تغطّي عجزك الصّارخ أفضل من بقائك معدما، و هذا ما أقنع أمّي و أخواتي بعد تحسّن

الأوضاع بشكل ملفت، خصوصا أختي "أمل" و التي باتت الآن ممتنّة، طبعا بعد وصول "السكريّات" للمخ و تنامي الوعي الدّافع للتفكير القويم.

مع مرور الوقت اعتدت على الوضع، مرارة خضوعي لهذا الواقع الأليم لا تزال في نفسي، حاولت تناسي الأمر و المضيّ فيما أقوم به دون حسابات كثيرة، غير أنّ أخواتي كنّ يذكّرنني بذلك، فيتجنّبن الحديث عن طبيعة عملي مع الآخرين عمدا، كنّ يشعرن بالخجل كوني عامل نظافة رغم أنّه عمل شريف، و هو نفس العمل الذي أخرجهنّ من حالة البؤس و الشّقاء الحادّ، لا يهمّ، فالجميع يعلم أنّ الإنسان ناكر للجميل بطبيعته، لكنّهن يجدّدن الحسرة في نفسي، كيف كنت و كيف أصبحت، كيف زهوت بنفسي و أنا حامل شهادة الماستر، و كنت الأوّل في دفعتي رغم غياب التّكريم، و كيف أنا الآن حامل لمكنسة أجرّها كرها، تكاد بذاتها ترفضني لما وصلت إليه من تردٍّ.

ها أنا ذا، في مؤسسة خاصة بتطوير وتسويق الحواسيب، مهنتي عامل نظافة، بين كل هاته الحشود، بين الذّاهب و الآتي، لست سوى "فاشل" يطلب قوت يومه و يسكت، يصمت لأنّه لا بديل الآن عن الصّمت، فيا ترى هل هناك بصيص أمل يقلب موازين الحاضر إلى ما هو في المستقبل أفضل ؟

.....

أوّل يوم في الأسبوع، كالعادة، على عمّال النّظافة الحضور باكرا إلى المؤسّسة يتقدّمهم "قائد المجموعة"، يجب أن تكون كلّ رقعة نظيفة برّاقة قبل حضور المدير، رغم أنّنا قمنا بالعمل و أكثر مساء البارحة بعد خروج الموظّفين، إلاّ أنّ أوامر المدير صارمة، و لا مجال لترك أرضيات و أروقة المؤسسة دون تنظيف دوريّ.

الخامسة صباحا، بالكاد ترتفع الشمس من سرير أفقها، حتى أقف أمام باب المؤسّسة رفقة مجموعة من العمّال الذين لم أستطع التّأقلم معهم، رغم مرور قرابة السّنة، جلّ أحاديثهم عن العري، الجنس و النّساء، و بين كلّ كلمتين من كلامهم كلام بذيء يعكس مستواهم الأخلاقيّ المتدنّي، قرّرت البقاء فردا على أن أكون معهم في جماعة، فصرت بذلك متكبّرا مغرورا

على حدّ قولهم كذبا و بهتانا، بالله عليكم، كيف أتكبّر و بماذا أغترّ؟ سوى أنّني خفت على نفسي نجسهم اللّعين من أن يتمكّن منّي كما تمكّن منهم.

أغلبهم ذكور، حتّى لا نقول رجال، هناك نسوة يعملن في تنظيف المكاتب و ترتيبها، على غرار ما هم عليه من حاجة و فقر، الكلّ يعمل جاهدا لكسب المزيد، الكلّ هنا يكدح كدحا حتى آخر دقيقة من اليوم، البعض منهم يستعمل أساليب أخرى ملتوية محبوبة، كالتقرّب من المسؤولين الكبار في الشّركة و التّودد إليهم، تقديم خدمات إضافية : حمل قفّة فلان و كيس فلانة، قضاء حاجيات مختلفة، بل تصل إحداهنّ إلى بيع جسدها من أجل المال أو المنصب، كلّ شيء مشروع مادام انتهاك الحرمات و القيم الإنسانية مسموحا به في دنيا الغاب هذه.

و أنا عامل نظافة تعلّمت الكثير من الأمور و خبرت العديد من الأشخاص في هذه الإمبراطوريّة الفاسدة، الاحتكاك مع من تلاقيهم و التحدّث معهم يفتح لك صفحات كتبهم رغما عنهم، لأن الألسن مهما كذبت تغلبها مكنونات القلب في لحظة من اللّحظات، فتنسلّ عبارات واضحة صريحة بين تعابير كاذبة معروفة، و لأن الكذب صار مبتذلا بات الصّدق في الكلام نادرا، و ما ندُر غالبا يجذب الانتباه، و أنا، أنتبه لما يجذبني من حقائق الأمور.

فمثلا كلّ يوم و أنا أنظّف قاعة الاستقبال قبالة المدخل الرّئيسيّ للشّركة، أعلم من كانت فيه صفة الخبث المذموم، قلّت أم كثُرت، كلّ و درجته في سلّم الخبائث ...

هذا "كريم"، ليس له من اسمه شيء، هو رئيس مكتب تحديث البرمجيات، يمرّ عليّ كلّ صباح بابتسامة ملؤها ازدراء، إنسان متكبّر مغترّ، كلّما مرّ أسقط منديله الورقيّ عمدا:

" ارفعه سريعا أيّها الفاشل".

يشتري منه لهذا الغرض بالذّات، ليس ليمسح أنفه الذي لم ينزل يوما، بل لينال منّي، ينتشي بتمريغ كرامتي في الأرض، له رغبة مرضيّة دافعة، يشعر بالسّعادة حينما يراني أرفع منديله و أرميه في السلّة دون كلام، يظنّ نفسه فرعون زمانه.

" سعيد" مدير التّسويق، زير نساء، ذميم بذيء، بدين ذو رائحة كريهة، يناديني كلّ مرّة لأحضر له القهوة أو لأشتري له الغداء، مرّات أجيب و مرّات لا، أتعلّل بأسباب واهية حتّى أتجنّبه، هو من النّوع الاستغلالي.

" جابر" المتسلّط الملعون، يعاملنا كالكلاب و هو كالكلب بين يديْ رئيسه، يعمل مترجما في الشركة، حثالة و فقط.

" فهيم" المتصرّف الكاذب، "ربيع" المشرف على العلاقات بين الشركات، المشهور بطمعه و جشعه، " فريد" نائب المدير، الباحث عن السّلطة، " نعيمة" سكرتيرة المدير العام، صاحبة القوام الممشوق، و الأرداف العظيمة، و التي تبيع نفسها لمن هبّ و دبّ في سبيل المزيد من المال، و غيرهم كثير، فاسدون مفسدون لا يكلّون و لا يملّون من الكذب و الخداع، لا يفترون من البحث عن السّلطة، لا يتعبون من المكائد و المراوغات في سبيل أن يتدرّجوا أكثر في سلّم المسؤوليّات، مسؤوليّات رهينة أشخاص لم و لن يعرفوا قيمة الأمانة و جلل مُصاب من خانها.

أتعرّض يوميًّا للمضايقات من طرف زملائي، و من طرف الموظّفين، رمي السّجائر و الأوساخ و البصاق على الأرض من العادات الشّائعة، و كلمة "فاشل" أسمعها أكثر مما أسمع اسمي، ينادوني بها دوما، و هم لا يدرون أنّ مستواي يفوق ما وصلوا إليه بأشواط، أمّا أنا فلا أردّ على استفزازاتهم، و لا أبيّن لهم مدى وقع كلماتهم المسمومة عليّ، و لو أنّها تصعق القلب صعقا يتألّم معها السّامع ألما عميقا: "كلب" ..."حثالة"..."عبد" ... " لقيط" ... "جيفة" ... و غيرها كثيرة، لا تدرون كم هي حادّة، و لا تدرون مدى الصّبر الذي تحلّيت به لأتجاوز كلّ مرّة مرحلة الجنون التي تنتابني كلّما تعرّضت للإهانة، لكنّهم لا يعلمون ماذا سيحصل، و لا يدرون ما الآتي.

لن أفصح عمّا يجول بخاطري الآن، بطبيعتي أنا كتوم، عوض ذلك سأتكلّم باختصار عن شخص لمحته في الفترة الأخيرة، مختلف عن الآخرين، هي امرأة، شابّة تعمل في هذه المؤسّسة، يقال أنّها المسؤولة الجديدة لمكتب التّوظيف في الشّركة، فسابِقَتُها رحلت من شدّة

الضّغط و كثرة الإلحاح على الجنس، الكلّ على علم و كلّهم يتجاهلون الأمر و كأنّه لا حدث ... لكنّه حدث ...

المهمّ أنّ وجه هذه الشّابة كان مألوفا، لا أتذكّر أين رأيتها من قبل، كانت الوحيدة التي إذا دخلت الشّركة وقفت جانبي و أنا أنظّف لتقول و في وجهها ابتسامة خجولة:

" أعانك الله يا أخي".

فأردّ مدهوشا:

" و إيّاكِ أختاه".

بسرعة تنمحي الابتسامة لتكمل طريقها نحو مكتبها قائلة بصوت خافت سمعته لمرّات:

" أنتَ لا تستحقّ هذا".

فأعتدل في وقفتي و أراها و هي ذاهبة و في نفسي نفس السؤال:

" ما الذي يدفعها لقول ما تقوله كلّ يوم تلقاني فيه ؟ و لماذا نفس العبارة ؟ ".

لا زلت صابرا على كلّ حال ... علّ الزمن يجيب عن السّؤال.

الفصل الثاني: ملاك

هذه حياتي، روتين قاتل مملّ، صحيح أنّي من عائلة غنيّة و الحمد لله، لو أحببت شيئا حضر في حينه، و لو تمنّيت أمرا تحقّق، ذلك لأن المال يفتح الأبواب المغلقة، فقدت رأيت أناسا يموتون جوعا و مرضا لأن المال خانهم، رأيت الكثير منهم فاقدا للأمل كارها لهذه الحياة، لماذا؟ لأن السيّارة دون وقود لا تتحرّك، و وقود الإنسان الآن هو المال، نعمة من نعم الله و ليس فتنة إلاّ من أراد أن يكون عليه فتنة.

أحبّ المال، الجميع يحبّونه، و من يقول عكس ذلك كاذب، فقط أريده عن استحقاق، أريد كسبه بالأطنان، لكن عن جدارة، بعرق جبيني و ليس هكذا كهديّة.

مللت ... مللتُ من تحقيق ما أصبو إليه بسهولة، صرت لا أحسّ بلذّة الحياة و قيمتها، من شدّة أنّني محاطة و محميّة، صرت سجينة هذا الواقع المرير، قرّرت التحرّر، التحرّر من أبي الذي يعبّد لي طرقا لا أريد السّير فيها، التحرّر من السهولة، أريد العيش في واقع يستحقّ أن تذرف فيه الدّموع و أشعر فيه بالألم، واقع أصارعه لكي يعطيني، أريد أن أعيش تحدّيات و لو بسيطة، مستعدّة لأن أستبدل فيلاّت و سيّارات و شركات أبي من أجل ذلك، مستعدّة لأن أدفع كيلوغرامات الذّهب و الفضّة و كلّ ما هو ثمين و غالٍ في سبيل ذلك.

أتكلّم عن أبي لأنه ما بقيَ لي في هاته الدّنيا، أمّي توفّيت إثر مرض و أنا ابنته الوحيدة، طبيعيّ أن يخاف عليّ و يشكّ في علاقاتي مع من حولي، يظنّ أن كلّ من أصاحبهم يودّون الاستيلاء على ثروة و أملاك العائلة عن طريقي بشكل أو بآخر، أمّا أنا ففي الحقيقة ليس لي صاحبة، و لا زميلة، حواراتي و محادثاتي الواقعيّة أو الإلكترونية تبقى دائما سطحيّة مع من اتّخذتهم رفاقا، لا أنوي الارتباط حاليًّا أيضا، رغم أنّ الحياة الأسريّة تستهويني، أريد أن أكون أمًّا أنا أيضا فتلك فطرة فينا نحن الإناث، لكن أن أترك أبي الآن لا، لا أستطيع أن أفسّر ذلك لكنّه أمر يردعني كلّ مرّة فكّرت فيها بالارتباط، كما أنّ أبي سيحاول إقناعي و إقناع من يتقدّم لي بالمكوث هنا في هذا القصر أو في قصره الآخر ربّما، في أيّ مكان فقط أن نكون بقربه، و هذا ما أرفضه، أوّلا لأنه سيردّ الكلّ و يختار من هو في الثّراء و الغنى شبيه به، أصغر سنًّا و إن أمكن أكثر علمًا و ثقافة، ثانيًا و لأنه كثير الشكّ، سيجعله لصيقا به كظلّه،

سيكون مسكنه جوار مسكننا و عمله أيضا، سيفعل المستحيل من أجل ذلك، سيدرسه و يحلّله، سيفكّكه إلى ذرّات، و إن عثر على صفة لا تعجبه فيه أو عيب و لو صغير فلن يكون له محلّ من الإعراب، لا يدرك أبي أنّ الكمال الإنسانيّ غير موجود، يريد فقط أن يكون صهره الأفضل و الأقوى و الأكثر احتراما و نبلا و و و و ... و هذا لن يكون لأن الواقع ينفي مثل هاته الأحلام، و لأنني لن أقبل إلا برجل بسيط، يعمل باجتهاد لكسب رزقه بعرق جبينه، أريده بسيطا و حسب، صادقا فقط، و من أجل أن لا يكون صدام بيني و بين أبي في موضوع الزّواج و أنا على مشارف السادسة و العشرين، أتهرّب منه كلّ مرّة يذكره، و أقول له متحبّبة:

" الآن يا أبي ؟ أمللت منّي و كرهت وجودي بجانبك بهذه السّرعة ؟".

فينفطر قلبه و يتذكّر بسرعة لوعة فراق ابنته، فيسكت، لكنّني مع ذلك أحسّ بشوق غريب له فقط حينما أتخيّل نفسي بعيدة عنه، سبحان الله.

استطعت أن أتحرّر من أوّل قيد ربطني به، فقد أكملت دراستي و بامتياز، و تحصّلت على شهادة ما بعد التدرّج، ماستر في إدارة الموارد البشريّة، القليل فقط تمكّن من الوصول إلى هذا المستوى، كنت فخورة بحقّ كوني من النّخبة، لكن سرعان ما تلاشى هذا الإحساس بعدما سمعته من بعض الطّلبة، ففي أحد الفروع الأخرى في جامعتنا –جامعة العلوم الإدارية و المالية- هناك طالب تحصّل على معدّل لم يسبق له مثيل، فدفعني الفضول لأرى قائمة النّاجحين بسرعة، كوني إنسانة غيورة، رفعت بصري لرأس القائمة و لم أقرأ سوى التخصّص و المعدّل:

تخصص: إدارة أعمال ... المعدّل 19,09 ... بتقدير ممتاز.

لم أصدّق ذلك، كيف فعل هذا ؟ لابدّ و أنّه رشا الأساتذة حتى تضخّمت نقاطه إلى هذا الحدّ، حتّى نقطة رسالة تخرّجه عالية: 18,5، لا بدّ و أنّ في الأمر مالاً تحت طاولة.

في لحظة الذّهول تلك كان بجانبي طالب يرى القائمة مبتسما، بلباس لم أعهده على طلبة هذه الجامعة، لباس كلاسيكيّ جميل، قلت مستهزئة:

أترى ؟ 19,09 ؟ من يكون هذا ؟ أينشتاين ؟ و الله قد غالَوْا في تضخيمهم لنقاطه حتّى ظهر الأمر جليًّا، لا بدّ و أنّه اشترى الأساتذة و ...

" أنا صاحب هذا المعدّل".

انعقد لساني لحظتها و لم أجد ما أردّ به ...

بنظرة غاضبة قال لي:

" ليس كل ما في الدنيا يباع و يُشترى، و لست من ذاك الصّنف الرّخيص، لو قُسّم تعبي في التّحصيل على جبال الدّنيا لخرّت، لا تحكمي على إنسان بدافع شخصيّ غير موضوعيّ، و إنّما تلك نتائج إبداع كلّ منّا، فرحمة الله واسعة و فضله على عباده لا ينضب".

زاد ارتباكي و لم أستطع حتّى الاعتذار ...

" آنستي، لم أكن محظوظا كما يظن البعض و لم أشتر ذمم الأساتذة، لو كنت أملك هذا المال المزعوم لصرفته على أمي المريضة و أخواتي الجائعات".

تركني بعدها مسمّرة في مكاني، فراجعت نفسي سريعا و عزمت فعلا على الاعتذار منه، لكن بعد ماذا ؟ ذهب سريعا و لم أستطع اللّحاق به.

كلامه ترك الأثر العميق في نفسي، كان صادقا، نبرة صوته و ملامح وجهه، كلّها تعابير صادقة، لم يكذب فيما قاله متأكّدة من ذلك ...

الدّرس الذي تعلّمته حينها من ذاك الموقف بليغ مفيد، نعم أخطأت في حقّه، و ندمت على ما قلت.

بالطّبع كانت كلّ الظّروف ملائمة و مواتية لكي أنجح، و سيقول البعض: " و كيف لا تنجح مع كلّ ما يوفّره لها أبوها ؟" ردّي هو أنّني أعرف الكثيرين ممن يملكون كلّ شيء و لا يحقّقون شيئا، صحيح توفّرت لي كلّ الوسائل و الإمكانيّات، لكن النّجاح يُبنى أوّلا على الإرادة الذّاتية التي لا تُشترى بمال، و الرّغبة الكامنة في تحقيق هدف أو مشروع رسمته في

ذهنك و تخيّلته، فصار واقعا بصورته تلك أو بصورة أخرى مغايرة بقليل، المهم أنّ النّجاح ملكك و فقط، بإرادتك و عزمك و انتهى.

عن نفسي، لم أستعن بأحد، و لم أعتمد على الدّروس الخصوصيّة، كان مجهودا فرديًّا بحتا، فكان النّجاح مخاض سهر ليالٍ طوال، ليس كما يصوّرونه في الأشعار و الرّوايات، فيه عذاب و آلام، فيه تعب صحيح، لكن ليس إلى ذاك الحدّ، الحمد لله كثيرا على هاته النّعمة، لم أكن الأولى في دفعتي كما ذاك الطّالب، لكنّني سعيدة بهذا الإنجاز.

منعت أبي من التدخّل في شؤوني من ذاك اليوم، و طلبت منه أن يتركني أتدبّر نفسي كما يفعل الكلّ، في الأوّل رفض، لكن مع إصراري و تكراري خضع للأمر فصار يراقب من بعيد.

رفضت اقتراح أبي في تسيير أعماله في إحدى شركاته، كان لا بدّ من اكتساب خبرة ميدانيّة قبل الترقّي إلى مثل المنصب الذي اقترحه: مديرة إدارة الموارد البشريّة، لم أرد أصلا أن أعمل في إحداها تفاديا للقيل و القال و رغبة منّي في تكوين نفسي بنفسي، لكنّه ألحّ مرارا فوافقت بشرط أن أكتسب خبرة و أن أستحقّ فعلا ذاك المنصب بعد خوض تجارب أخرى في مكاتب أو شركات عموميّة أو خاصّة، فقبل.

بدأت البحث عن عمل بعد طبعي مئات السّير الذّاتية و دفعها، كلّ مرّة يسألوني:

" أأنت ابنة السيّد "نافِع" ؟".

فأردّ نافية رغم أنّي ابنته بالفعل، ليس من صالحي أن أُقبل بفضل "لقب"، و إلاّ فما نفع كلّ ما قمت به إلى الآن؟

توالت الأيّام و أنا أبحث عن عمل، فوجدت لذّة التّعب في وضع السّير و اجتياز الاختبارات المهنيّة، أحسست فعلا أنّي إنسان يصيب و يُخطئ، يتعرّض لمشاكل و مخاطر توقعه في مآزق تجبره على التحرّك و التّفكير للخروج منها، لربّما أسمع الكلام البذيء و الجارح، لكنّ قيمتي باقية كإنسان ما دمت أتحرّك و أسعى.

أخيرا أنا إنسان، شعور لا يوصف.

مرّت تقريبا سنة و أنا في سعادة، منبعها آلام الردّ و تعب البحث، و في الأخير كلّلت جهودي بالمنصب الذي بحثت، مسؤولة في مكتب توظيف، في مؤسّسة خاصّة بتطوير وتسويق الحواسيب "برو وُورك"، بالعربيّة: "العمل المحترف"، السّعادة التّي شعرت بها حينها لا توصف، و أخيرا و من دون مساعدة أبي، من دون مساعدة أحد، بفضل الله و عونه فقط تمكّنت من افتكاك منصب، كم كنت فخورة بنفسي، رغم بعض الإشاعات هنا و هناك عن استقالة من كانت قبلي في المنصب بسبب المضايقات و المساومات إلاّ أنّي تجاهلت ذلك، فأنا لست هي، إضافة إلى أنّ هذا العمل بالنّسبة لي مكسب لأكوّن نفسي في المجال، و لآخذ خبرة أنتفع بها، كما أنّ شخصيّتي قويّة و أنا بطبعي عنيدة، لن أفسح المجال لأي كان ليمسّ كرامتي و شرفي فهما أعزّ ما أملك.

في الأيّام الأولى من العمل استوقفني لمرّات عديدة و أنا متوجّهة إلى مكتبي مشهد شاب ينظّف مدخل الشّركة، بعيدا عن رفاقه، ينظّف وحده مطأطئا رأسه، هادئ، فشغلني أمره من حيث لا أدري، اقتربت منه مرّة و حيّيته:

" صباح الخير يا أخي، أعانك الله".

رفع رأسه نحوي ببطء، دون أن يتوقّف عن العمل:

" و إياك أختاه".

صُدمت ...

ربّما لم أُصدم في حياتي كما حدث لي لحظتها ...

كان الشّاب ذاك، الطّالب صاحب أعلى معدّل، صاحب 19,09، الحامل للماستر في إدارة الأعمال ...

هو، أقسم أنّه هو، تقاسيم وجهه كانت و لازالت محفورة في ذاكرتي منذ الوهلة التي ردّ فيها على استخفافي بذاك الأسلوب الحذق، ماذا حدث له ؟ ما الذي دعاه لأن يعمل منظّفا و هو ذو

الكفاءة و صاحب الماستر ؟ ألم يجد عملا يلائم قدراته و شهادته ؟ و إن كان الأمر كذلك فلماذا وجدت أنا و هو لا ؟

حينها تذكّرت ما قاله:" ... لو ملكت المال لصرفته على أمي المريضة و أخواتي الجائعات ...".

هي الظّروف التي دفعته إذن، قهر الحياة و غضب الدّنيا، أغلال الوقت التّي التفّت على عنقه بسرعة و هو صابر، هو الامتحان الذي كتبه الله عليه، انتابني حزن شديد لما رأيت، كيف يمكن أن تكون الدّنيا بمثل هاته القسوة ؟

" أنت لا تستحقّ هذا ".

قلتها عن غير قصد و أكملت سيْري، ربّما لاحظ تغيّر ملامحي و صوتي، أو سمع همسي هذا، لكن لا أظنّه عرفني، لم أتح له فرصة التمعّن جيّدا في وجهي حتّى يتذكّرني، و لن يكون له ذلك بعد اليوم، تكفيه تحيّتي السّريعة، و إن قدّر الله و رجعت به الذّاكرة و أدرك من أكون، فسيزيد عذابه و ألمه، "المُستفزّة تعمل في الإدارة هنا، و أنا أجمع فضلاتها"، بالتّأكيد ستكون ردّة فعله كذلك، سيُقهر، سيشعر بالذلّ و المهانة، و أنا منه استحييت، لذا سأحاول جاهدة تفاديه فذلك أفضل، علّ الزمن يعطيه الآن ما منعه سابقًا، فيمنحه ما يستحقّ فعلا.

الفصل الثّالث: فريد

أحبّ السّلطة، لا يهمّني أن أكون نذلا أو محتالا في سبيلها، ما نفع القيم في عالم الغاب هذا ؟ أين يوصلك صدقك ؟ أين توصلك أمانتك ؟ إلى اللاشيء، ستندم على الفرص التي تضيّعها إن كنت مستقيما ، لن تُعوّضها أخرى في المستقبل، فهناك ذئاب تغتنمها لتقتسم "الفريسة" حيّةً سرًّا و علانية، أينما تولّي وجهك تجد محتالا، خسيسا، يريد كل شيء له، على حسابك و حساب غيرك، بل هو مستعدّ لبيع والديْه في سبيل ذلك.

كنت و لا زلت أنانيًّا، هذا المجتمع هو الذي نمّا فيَ هذا الشّعور و زكّاه في نفسي، أريد المزيد فلا أتوقّف، أصبو للنّجاح فيما أروم بإقصاء الحواجز من طريقي، تلك الحواجز هي كل من يريد تجاوزي، كلّ قانون يريد ردعي، كلّ قيمة تريد تعجيزي، كلّ ما يقيّدني، هكذا أنا و هكذا الواقع، الفساد في كلّ مكان، صار طبيعة فينا شئنا أم أبيْنا.

يقع اللّوم على من هندس أسس هذا الفساد في مجتمع متفكّك متصدّع في أصله، من حمى الباطل على حساب الحق، من هم فوق هناك، هم سبب كلّ المصائب، الخروج من هذا النّفق لا يبدأ من أسفل، من العامّة، فكلّ المشاكل مصدرها سلطة علينا كاذبة، خائنة، نخبة من شياطين الأرض تلد أتباعا مفسدين.

أنا فاسد ربّما، أقولها صراحة، أنا لا أرتدع، لا أحترم القوانين، ألتفّ عليها بذكاء مرّة، و بالقوّة مرّة أخرى، أوظّف من أشاء و أقبل "القهوة" و أمورًا أخرى، لي هذه السّلطة، المدير يدير الأمور و يوجّهها فقط و لا يدري تماما ماذا يحصل في الخفاء، أغتنم فرصة كوني نائبه فأستعمل سلطتي لتحقيق مآربي، إن كانت الموافقة على توظيف فلان تزيد من شعبيّتي، من احترامي، و ربّما من ثروتي فأوافق، إن كانت "القهوة ثقيلة" –و التي هي حرام أدري- فأهلا و سهلا بها أيًّا كان مُعطيها، أقبل المال و الشّقق و الأراضي و النّساء و كلّ ما تحرّك و سكن على هاته الأرض، المهمّ أن أكون أنا الرّابح فيها و الباقي لا يهمّ.

ألن يعاقبني الله على ما أفعل ؟ ألا أخاف الله ؟

هناك أمر، أخاف الله و أخاف عقابه، لكنّ اللّهفة سرت في دمي، تغلّب حبّ المال علّي و صار نفسًا في نفسي، أنسى ذكر الله في تلك اللّحظة، لحظة قبول الباطل، أركض ركضا وراء السّلطة ناسيا التّوبة، أتودّد للمدير و أمثّل دور النّائب الأمين، أمثّله تمثيلا و نيّتي غير التي أظهرت، صحيح، أنا منافق، بل سيّدُ المنافقين و بفخر أقولها، أريد منصبه، أريد أن آخذ منه الشّركة و أجعلها لي، فليس بعد سنوات التذلّل و أنا في عمر الخمسين أنهي حياتي العملية مساعدا فقط، ألا يحقّ لي أن أصير "الربّان" بعد تضحيات جسام ؟

الدّنيا تنسيني الآخرة كلّ مرّة توفّرت فيها فرصة لا تُعوّض، الغاية بالنّسبة لي تبرّر الوسيلة، الكلّ بهذه العقليّة يتعاملون الآن، الكبار و الصّغار، أأبقى متخلّفا عن الرّكب بحجّة أن هذا لا يجوز و هذا حرام ؟ بصراحة لا، حينما يعود العدل المُغيَّب و يشمل الكلّ، حينما يكون في الحكم عدل، حينما تطبّق القوانين في الواقع على الجميع، إلى ذلك الحين نعم، سنتغيّر، غير ذلك لن أخسر ما بنيْته و لن أندم.

أبقى حذرا من الذين يتربّصون بي في الشّركة و خارج الشّركة، فأنا بطبعي كذلك، لهذا لم أتزوّج و لن أفعل، فليس لي ثقة بأي إنسان مهما كان، عشت وحيدا منذ فقدان أبويّ في حادث مرور، كنت أبلغ الثالثة عشر، بقيت كذلك و أنا سعيد، لا داع لأن أتزوّج، فلست قادرا على تخيّل إنسان يقاسمني مالي و ربّما سلطتي مدى الحياة.

فقط لأعزّز موقفي سأحاول أن أكون لطيفا و متفهّما مع موظّفي الشّركة، المبيعات في الآونة الأخيرة في تراجع، الكلّ على الأعصاب، هناك فرصة لأظهر و أجمّل صورتي: مسابقة التّوظيف الدّاخليّ و التي ستكون بعد أسبوع، سنفتح الباب لثلاثة موظّفين للتّرقية في الشّركة على أساس اختبار كتابيّ فقط، من يريد الالتحاق برتبة عون مكتب، و عون مكتب رئيسيّ و كذلك كاتب، بالطّبع كلّهم ذووا مستويات متدنية، لن نجازف بفتح مناصب تهدّد مواقعنا نحن أصحاب الرّأي رغم وجود الإمكانيّة، كان هذا اقتراحي و وافق عليه المدير العام، قطرة ماء أجني بها محيطا من الدّعم في الانتخاب الذي سيكون آخر هذه السّنة، التأثير على أعضاء الإدارة الدّائمين من أهدافي، و اسمي سيكون مرشّحا لقيادة الشّركة لا محالة.

سأعمل على أن يكون الترقّي لفتاتين و رجل، نريد النّسوة أكثر من الرّجال، تستهويني الأجسام الميّالة و الأرداف الهزّازة، أحب النّساء بأشكالهنّ و أنواعهنّ، لن أتزوّج بالتّأكيد، لكن لن أمنع عينيّ من التمتّع بفتن الدّنيا، اللّعبة مكشوفة على كلّ حال، و من أراد تحسين وضعيّته عليه بقبول الشّروط و فقط، هذا الذي يوجد و لا احتمال غيره، أضع الناس في ضيق حتى يقبلوا به و يألفوه، فلا يجدون بدّا بعد ذلك من العيش فيه، هذه هي سياستي.

سأحقّق ما أريد رغم الجميع.

الفصل الرّابع: كريم

لا أصدّق أنّ هذا حدث ... لكنّه وقع.

كنت متوجّها إلى مكتبي في آخر الرّواق، و إذا بضجّة في الردهة، دفعني الفضول لأنزل و أرى ماذا يحدث و إذا هو بجمع من الزّملاء، نائب المدير بجانب لوحة بيضاء كبيرة عليها ورقة معلّقة، يلقي عليهم خطابا، يريد استمالة الكلّ حتّى يعزّز مكانته و يصير مديرا للشركة بعد انتخاب لجنة الإدارة، بدأ حملته غير المعلنة مبكّرا، كلّ هذا التّقرّب و السّؤال عن حال الموظّفين و السّعي وسيطا بينهم و بين المدير لتحسين ظروفهم الماديّة و العمليّة، كلّ ذلك ليس مجّانًا بالتّأكيد، هو يتحبّب للمدير من جهة و ينتظر اللّحظة المناسبة لاقتناص منصبه من جهة أخرى، فإن أفلح في جمع الأصوات و صار مديرا نجح في مسعاه، و إن لم يفلح كسب رضا المدير و لا خوف على منصبه الحاليّ، أليس منافقًا خبيثًا ؟، و كأنّ المدير لا يعلم مكائدَه، بل كلّنا على علم بها.

ليس هذا ما أهمّني، و إنّما سبب هذا الجمع هنا، اقتربت و نفذت بين الواقفين حتّى وجدت نفسي قبالته:

" أهنّئ النّاجحين في المسابقة الدّاخليّة، و أتمنّى لهم دوام الرقيّ، أشجعهم و أشجّعكم جميعا على بذل مجهود أكبر في سبيل جعل شركتنا من أفضل الشّركات، و إن شاء الله التقدّم و الازدهار لنا جميعا، حيّوا النّاجحين من فضلكم".

يصفّق الجميع على النّاجحين الثّلاثة، كانوا بجانبه واقفين، امرأتان و رجل، شابّتان في مقتبل العمر، و شاب آخر، لقد كان ...

لم أتمالك نفسي حينها ...

رفعت صوتي وسط التّصفيقات قائلا:

" هذا أنت ؟؟؟".

لم يسمعني أحد سواه، أدار رأسه نحوي و رآني جيّدا، لم أستطع قراءة معنى تلك النّظرة، بدا عليه هدوء غريب، ارتسمت على وجهه ابتسامة خجولة، قابلته بنظرة ملؤها حقد و غضب ... كيف لمجرّد عامل نظافة أن يرتقي بهذه السّهولة ؟

بالقرب منّي كان سعيد مدير التّسويق، زير النّساء ذاك، فسألته:

" هل ارتقى ذاك الفاشل ؟ كيف سمحتم له باجتياز اختبار التّرقية و هو مجرّد عامل نظافة دون مستوى ؟".

فردّ:

" لا يهمّني ماذا فعل و كيف صار، المهمّ في الأمر هو هاتين الفتاتين الفاتنتين، فمكتبيْهما سيكونان بجانب مكتبي قريبا".

يضحك سعيد ضحك المجانين، بالطّبع، كيف لا و قد زاد اسميْن في لائحة العاهرات، ليس له وقت للتّفكير بغير الجنس و المتعة، هذا النّوع من الكائنات لا يُصنّف.

لا زلت أفكّر كيف بات هذا النّذل كاتبا، و هو الذي كان يرفع مناديلي الورقية الوسخة دون أن يردّ على استفزازاتي ببنت شفة، كيف لهذا اللاّشيء أن يترقّى؟ كيف فعل ؟

عقدت العزم على معرفة الحقيقة، فمن غير المعقول أن تكون المسابقة بمثل هذه الشّفافية حتى تُتاح فرصة لمثل هؤلاء للتقدّم خصوصا في هاته الشّركة الملعونة، فتوجّهت إلى مكتب الموارد البشرية لأسأل، وجدت أميرة السّاقطات السّكرتيرة "نعيمة" هناك جالسة بجانب مسؤولة التّوظيف في الشّركة، دون شكّ تقدّم لها النّصائح و التّوجيهات الخاصّة بعملها الجديد، دون مقدّمات سألت:

" أليس ذاك عامل النّظافة ؟".

تردّ السّكرتيرة ضاحكة:

" كان عامل نظافة، أمّا الآن فهو كاتب، و له مكتب خاص يا سيّد "كريم" ".

" لكن كيف هذا ؟ من عامل نظافة إلى كاتب ؟ هكذا مباشرة ؟".

فتردّ عليّ الأخرى، تريد بردّها إسكاتي:

" قبل اجتياز السيّد "ناجي وحيد" الاختبار أثبت المستوى المطلوب بالوثائق اللاّزمة، و هو في وضعيّة قانونيّة فيما يخصّ ملفّ ترشّحه للمسابقة، و ...".

قاطعتها السّكرتيرة:

" لا داع لأن تفسّري له، فليس له أن يطّلع على كلّ ما تقولين".

استشطت غضبا و لم أتحمّل، فصرخت:

" لابدّ و أنّها الرشوة، و إلا فكيف صار كاتبا بين ليلة و ضحاها".

" أنت أعلم مني بقوانين اجتياز الاختبارات في المؤسسة، كل واحد من المترشحين السّبع اجتازوا الامتحان في قاعات منفصلة، كلّ واحد في قاعة، أمّا الحرّاس فحارسيْن لكلّ مترشّح، و الحرّاس بذاتهم تمت مراقبتهم بكاميرات خفيّة في القاعات التي حرسوا فيها، لم نسجّل أيّة حالة غشّ، سارت الاختبارات الكتابية على أحسن ما يرام".

ردّ هذه اللّقيطة زاد من غضبي، لم أستطع شيئًا حينها، فما قالته صحيح، و لا يمكن التّشكيك في ذلك ما دامت الأمور قد سارت على ما يرام.

" لم يتقدّم أيّ مشارك بطعن في نتائج المسابقة، لذا كلّ شيء سار في مجراه الطّبيعيّ".

آخر كلام من مسؤولة التّوظيف تلك كان خاتمة الحوار بيننا، نظرت فيهما نظرة كره و احتقار، لم أتقبّل أن يصير الصّعلوك فارسا، فكلّ في صنفه مصنّف، و كلّ في عمله يبقى و يفنى، هكذا يجب أن يكون الوضع، في القسم الذي أنا فيه، قسم تحديث البرمجيات، لا أترك لأحد الفرصة لكي يتعالى عليّ بمستواه المزعوم، مادمت رئيسه فلي السّمع و الطّاعة، و يبقى على تلك الحال ما دام عاملا تحت إمرتي، فمن تعطيه قيمة يحسب نفسه أفضل و أجدر، البشر لا يستحقّون كلّ ما تقدّمه لهم، يكفيهم أن يكونوا في مكانهم الطّبيعي دون البحث عن أكثر، و إن حصل العكس صاروا وقحين ناكري جميل، هب أنّهم تمكّنوا من الوصول إلى

مستوى أعلى، سينبذون كلّ ما كان يربطهم في الماضي مع أناس أسبلوا عليهم الخير فردّوا خيرهم بالنّكران و النّسيان، و لربّما بالشّر و العدوان، تفاديا لكلّ ذلك، و حفاظا على النّظام الطّبيعي للأمور، بقاء كلّ في مكانه و صنفه و مستواه يضمن الاستمرارية المعقولة و المنطقية، و يغلق الأبواب أمام الخيانة و الغرور.

أشعر بغضب كبير، نار بداخلي تُمزّق و تُحرق ...

تركتهما و شرر الغضب من عينيّ، لم أستطع قول شيء يعود عليّ بالضّرر فيما بعد، فالآن هو كاتب و ليس مجرّد عامل نظافة، ستصير كلمته مسموعة في الإدارة، سيكون له ثقل و رأي الآن، هذا الذّي خشيته، هذه هي الفوضى المخيفة، التّغيير الذي يزعزع النّظام.

" اطمئن لن أتركك ... سأعيدك إلى مكانك ... مكانك الأوّل حيث صنفك و أصلك".

سيكون لي معه لقاء آخر ... فليستعدّ جيّدا لمواجهتي.

الفصل الخامس: ملاك 2

أنا سعيدة، حقّا سعيدة ...

لست سعيدة لنفسي بل لذاك الشّاب، ظننته سيبقى كما هو، هكذا خانعا خاضعا مُستسلما لظروف الحياة التي رمته في جزيرة النّسيان، ظننته من النّوع الذي ألفته و خبرته من قبل: شباب يلقون باللّوم على الظّروف و على الأشخاص، يتنصّلون من المسؤولية و يحمّلونها آخرين، و هم الأجدر بها، في الأخير لهذا الشّاب إرادة، إرادة كبيرة، عكس ما توقعت.

جرت الاختبارات الكتابية في أحسن ظّروف، كما تمكّن هذا الشّاب الذي اسمه "وحيد" من الإجابة عن الأسئلة كما يجب، بالرّغم من وجود أخطاء على ورقته لا يقع فيها من هم في مثل مستواه، و هذا الذي استغربت، إلا أنّه تمكّن من النّجاح في المسابقة و افتكاك المنصب.

فرحت لأجله و كأنّي من نجحت، لا أدري لماذا، ربّما إيماني بوجود أناس يعملون و يجتهدون رغم الظّروف الصّعبة و الإمكانيات القليلة، و أنّهم في الأخير يصلون إلى ما يصبون، هذا الاعتقاد الذي تحقّق واقعا في شخص هذا الشّاب هو الذي أفرحني و أكّد لي ما كنت و لازلت مقتنعة به: أن تأخذ ما تستحقه بعرق جبينك هو الثّروة الحقيقيّة.

رغم هروبي المتكرّر منه بعدما اكتشفت حقيقته كان من اللاّزم مواجهته، فملفّ تعيينه ككاتب في الشّركة يمرّ على مكتب التّوظيف و الموارد البشريّة و الذي أنا مسؤولة عنه.

في يوم تقديم الملفات كان قلبي ينبض بشدّة، توتّرت كثيرا كوني أعرف هذا الشّاب و لا أدري إن كان سيتذكّرني أم لا، ليس هذا فقط، أمر غريب و الله، لا أدري ما الذي يجعلني أهتمّ به، و كأنّه الخبر الذي تنتظره بشوق، و كأنّه شربة ماء عطشان في صحراء قاحلة، هو بزوغ شمس تشقّ إزار الغيوم، نعم هو كذلك و أكثر، أتفاداه كرها و أشدو لُقياه بشدّة، لا أدري ما سأقوله و ما سأفعله الآن ...

يقال في المواقف العسيرة كن على طبيعتك، و كأنّك تستطيع أن ترتاح و تكون على طبيعتك و كلّ ذرّة من جسدك تهزّك هزّا و كأنّ زلزالاً يضرب أوصالك، أعماقك و أطرافك، كلام

فارغ، على الذي قالها أن يجرّب ما أنا عليه حتّى يشعر بحقيقة الأمر و يعتذر عمّا أوهم النّاس به.

إنّه هنا...

يا إلهي ما بي ... تجمّدت كالصّنم في مكاني ...

تقدّم بعد الاستئذان:

" السّلام عليكم، هل يمكنني ؟".

" نعم بالطّبع تفضّل".

لا أدري كيف تكلّمت بطلاقة، ضربة حظ ؟ لا ... لا وجود للحظّ أصلا.

" هذا الملفّ الذي طلبتم منّي استكماله، كلّ الوثائق موجودة".

"مبروك أخي، إن شاء الله للأفضل و الأحسن".

" بارك الله فيك أختي".

أخذت من يده الملف و تأكدت من وجود كلّ الوثائق المطلوبة، و كان ذلك، مرة على مرّة كنت أسترق نظرة، فتقع عيناي على عينيه الذّابلتين المحدّقتين فيّ، فأهتزّ و أرتبك، و أعود لأغوص في الأوراق كالبلهاء ، يلاحظ ذلك فيبادر و يقول:

" أكلّ شيء على ما يرام سيّدتي ؟".

" نعم، نعم، كلّ شيء تمام، ابتداءً من الشّهر القادم يمكنك قبض راتبك الجديد، مبارك عليك".

بابتسامة يردّ:

" مشكورة سيّدتي".

كلّما يقول سيّدتي يزداد ارتباكي، يخالط هذا الارتباك نوع من الغضب، فلست بعد سيّدة، لازلت آنسة.

" أشكرك".

" لا داعٍ للشكر".

" لا قصدت أشكرك على معاملتك الطّيبة لي".

يتوقّف قلبي لثوان ليعود و ينبض ...

" في الوقت الذي كان الجميع يحتقرني و يذلّني، أنت بتحيّتك كنت تعيدين لي شيئا أضعته في هذا العالم، تعيدين لي قبسًا من الأمل، إحساسًا صادقا بالأخوّة الإنسانيّة، رغم أنّك تجاهلتِني هاته الأيّام الأخيرة و لا أدري لماذا، إلاّ أنّني سعيد بمعرفتك، فشكرا لتحيّتك و شكرا لأنّك بالفعل إنسان ...".

أأردّ على ما قاله ؟ أهناك ردّ يليق بما قاله أصلا ؟ قال كلّ شيء، أقسم أنّه احتواني بكلماته و أبهرني، فعلا، أتمنى له كلّ الخير.

" أستسمحك الآن، سأنقل أدواتي إلى مكتبي الجديد و أتحضّر ليوم غد".

" نعم بالطّبع، تفضّل سيّدي، أو أخي ... أو ... عفوا".

في تلك اللّحظة يضحك، و كم كانت ضحكته هادئة ... جذّابة فعلا.

يخرج و كأنّه لم يكن هنا منذ لحظات، بقدر فرحتي بالحديث معه بقدر حزني أيضا، فهو لم يتذكّرني، لا أظنّه تذكّر ذاك الموقف في الجامعة مع ما مرّ عليه في الآونة الأخيرة، لكن لا بأس، هذا الشّاب سيترك بصمته في هاته الشّركة، لا ينقصه الطّموح على ما يبدو ...

"أنتظر بشغف خطوتك الموالية، أبهرهم كما أبهرت الجميع في السّابق و لا تقبع في مكانك و أنت القادر على المزيد".

أشجّعك ...

الفصل السّادس: وحيد 2

أنا الآن كاتب ...

اجتزت اختبارا كتابيًّا، و كما العادة شهادة إثبات المستوى هي التي فتحت لي أبواب النّجاح.

كان الاختبار سهلا و بسيطا، لكنّي لم أشأ أن أجيب عن كلّ الأسئلة إجابات صحيحة، حتى لا ألفت الأنظار و لا أظهر مستواي الحقيقيّ، و إلا فسأوقظ الشّكوك من حولي، و أصير هدفا لكلّ من يخشى على رتبته و منصبه في الشّركة، الصّعود في سلّم المراتب و المناصب يتمّ بشكل سلس و متدرّج، و كلّ منصب و شهادته، كشف الأوراق مبكرا يفسد اللعبة، هكذا أفكّر و كذلك أطبّق.

لم تكن النّتيجة لتفرح عددا من الموظّفين فقد قرأت في أعين بعضهم عدم الرّضا و الحسد بما أنجزت، كما كان الأمر مع رئيس مكتب تحديث البرمجيات، و التي كانت نظرته الحقود تروي قصّة كره غير مبرّر، لا أدري لماذا، فهو في منصب أعلى و أقدر، مرض نفسيّ يعاني منه الكثير، لا يطيقون رؤية إنسان يتقدّم بمجهوده و مثابرته للوصول إلى ما يريد، لأنه بذاته لم يصل إلى ما يريده، لربّما حاول و لم يستطع، و رأى من هم أدنى منه في السّابق يرتقون و هو ينظر، حتّى إذا جاوزوه علما و معرفة، منصبا و مسؤوليّة، ثارت ثائرته و اشتدّ حقده و غضبه، و ما ذلك إلاّ ضعف في الشّخصيّة و خوف من المجهول، و لو كان شجاعا لعاد و استثمر ما عنده في الوصول إلى ما يروم، لكنّه يصرف طاقته في التصدّي لمن يبتغون الأفضل، ليكونوا في الخسران سواء، يراوحون مناصبهم إلى آخر يوم عمل، ما شهدت أسوأ من هؤلاء البشر.

سلاحي ابتسامتي، رددت على نظرته بابتسامة لطيفة، أدري أنّها في حقّه خسارة، لكن كلّ يعطي ممّا عنده و يفرغ مما في جعبته.

أسبوعان مرّا منذ تعييني ككاتب، لم أجد صعوبة في الاضطلاع بهذه المهمّة، فمهنتي تنحصر في كتابة التّقارير المختلفة لباقي المكاتب و الأقسام في الشّركة، إضافة إلى بعض المهام الأخرى البسيطة، لم أسلم بعد من مضايقات بعضهم، و هم معروفون، نفسهم الذين

كانوا من قبل يضايقونني و يشتمونني، غير أنّ الأمر الآن تغيّر قليلا، فالتّقليل من الاحترام علنا يعاقب عليه صاحبه إذا أودعت شكوى ضدّه بشهادة الزّملاء، فصاروا يمسكون ألسنتهم على الأقل، لتبقى نظراتهم التّي ترسل الشّرر متربّصة بي تبحث عن الزلّة البسيطة لتودِيَ بي إلى الهلاك، لن أترك لهم فرصة ذلك، كذلك أستعدّ لتحقيق مشروع، أمر أريده، لن أترك أحدا يقف حجرة عثرة بيني و بينه.

الكتمان ثمّ الكتمان، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

عموما الأمور تسير كما يجب، لا جديد يذكر، و إنّما قبل أسبوعيْن حصل أمر لم أستطع تفسيره، يوم ترك فيّ انطباعا غريبا، شعور آخر إن أردنا القول، اليوم الذي دفعت فيه ملفّي الجديد في مكتب التّوظيف و الموارد البشريّة.

ما الغريب في الأمر ؟ مجرد إجراء إداريّ، بل كان أكثر من ذلك، فبعد دخولي المكتب ذاك اكتشفت أنّ لي علاقة عابرة بصاحبة المكتب، لم أتذكّر ما نوع تلك العلاقة، أدرك أنّها الموظّفة الجديدة و رئيسة هذا الفرع، لن أنسى تحيّتها الصّباحيّة التي كانت بمثابة عودة الروح كلّ صباح، لكن أحسست أنّ أمرا فاتني، خصوصا و أنا جالس أحدّق فيها و هي تقلّب الأوراق مرتبكة، فعلتها لتتفادى نظرة عينيّ، أرادت أن تكون قويّةً في حضرتي، لكن ضعفها الأنثويّ غلبها على أمرها، لا أدري بالضّبط بماذا شعرت حينها، أخفيت ذلك و أنا الماهر في ذلك، و لعبت دور الرّجل المُؤثّر الذّي لا يتأثّر، و الحقيقة أنّي اهتززت، و بذاتي ارتبكت، لكي يرتاح كليْنا قاطعتها و بادرت بالخروج سريعا قبل أن تتأزّم المشاعر و تختلط الأحاسيس.

كانت بانتظار شيء منّي، أحسست بذلك نعم، كما الصّغير الذي ينتظر منك إعادة كُرته بعد إرسالها، هكذا يداه مفتوحتان و ابتسامة بريئة على وجهه تسبق تلقّي الكرة، حينما وقفت و هممت خارجا أحسست و كأنّ صوتا من خلفي يناديني: "يا وحيد، اجلس و أكمل كلامك، فما أتيتَ سوى لدفع الملفّ، أفرغ ما في جُعبتك فأنا بانتظار ما ستقوله".

لكنّني خرجت و تركتها هناك، وددت لو عدت و سألتها لكن هيهات أن أعود، لم أملك الشّجاعة الكافية لذلك، للأسف كنت جبانا هاته المرّة.

لنا في المستقبل القريب لقاء آخر إن شاء الله لا محالة، فأنا لن أتوقّف عن تحسين موضعي في الشّركة مادمت قادرا على تخطّي الصّعوبات، خصوصا و أنّ الأمور باتت أفضل بالنّسبة لي، فقد تمكّنت من مداواة أمّي و تحسين ظروف المعيشة في المنزل، صحيح أنّ التحسّن كان طفيفا، لكنّه واضح، فالحمد لله ربّ العالمين.

بعد فترة من الاجتهاد تذكّرت .. أخيرًا تذكّرت ...

عادت بي ذاكرتي إلى الوراء ... أو تعلمون ؟ كانت الشّابة تلك إحدى الطّالبات في الجامعة التي كنت أدرس فيها، حينها أبدت لي ملاحظة عن صاحب المرتبة الأولى في تخصّص إدارة الأعمال – بالطّبع أنا المقصود-، كانت مستهترة ساخرة، لم يعجبني كلامها و امتعضت منه امتعاضا، تركت لها كلمات أدرك أنّها أثّرت فيها، تلك الطّالبة هي نفسها رئيسة مكتب التّوظيف الحاليّة، تركتها على هواها بعد ذاك اللّقاء و لم أعلمها بذلك، هكذا أفضل أظنّ.

ما هو رأيي فيها الآن ؟ ألازالت تلك الصّورة لصيقة بها ؟ ألا زلت أعتبرها تلك السّاخرة التي تحكم على النّاس دون معرفتها بحقيقة الأمور ؟

أتدرون ؟

من يلقي عليك السّلام و يحترمك كإنسان و لو أخطأ في الماضي، و في الوقت الذي يجدّ فيه الآخرون في إذلالك و التّقليل من احترامك، الشّخص الذي يقدّر ما تقدّمه مهما كان بسيطا، و يراك بنظرة إنسانيّة دون تصنيفك في درجة أو رتبة، هذا الإنسان يستحقّ أن تتجاوز عن زلاّته و تبادله الاحترام و التّقدير كما يجب أن يكون.

الأفعال تدلّ على النيّات، و النيّات مرآتها الأفعال.

الفصل السّابع: نعيمة

ليس هناك أفضل من جسد أنثى جميل متناسق تخدعين به من الرّجال من تشائين لتأخذي ما تريدين، سلاح المرأة الآن جسدها الفاتن، صدّقوني، لا مكان الآن للعفّة و الخجل، فما عجزت عنه الشّهادات تستطيعه النّهود و الأرداف، أو تحسبون أنّ المنصب الذي أنا فيه الآن كان عن اجتهاد و عمل؟ يا لها من براءة.

الآن، و بالنّسبة للمرأة العاملة، زيادة على كونها ذات مستوى مقبول، عليها أن تكون في التّعري و الفجور أكثر ذكاءً و خبرة، ذلك لأن أشباه الذّكور الذين هم في مناصب أعلى يفكرون تفكيرا حيوانيًّا تُغيّب فيه العقول، كما أن هدفهم الأسمى الفروج ليس إلاّ، فتجد أحدهم يتملّق للمرأة الفاتنة و يجري خلفها كما يجري الكلب خلف العظم، طمعا في ابتسامة ثمّ في حديث، ثمّ في لمسة و بعدها بعناق، ثمّ في علاقة جنسيّة تشبع هوسه المكبوت، من النّسوة من يتعرّين و يعطين أجسادهم لمن تقدّم، لا يشعرن أبدا بالخِزي و العار، و لا يخفن على سمعتهن من القيل و القال، المهمّ أن يحظين بعد العلاقة بالمنصب المرغوب أو المبلغ المطلوب، فما الجسد في الأخير إلاّ قطعة لحم، مادّة، الأفضل استخدامه فيما ينفع على أن يستتر دون فائدة بحجّة العفّة.

عن أيّ شرف يتكلّمون ؟ و هل بقي منه شيء في زمننا هذا ؟ كلّما تكلّم أحدهم عن الشّرف اشمأززت و تقزّزت، فكلّ واحد فينا يجعله لصيق المرأة و حسب، لصيق جسدها الذي لا يجب أن يلمسه سوى زوجها حلالا طيّبًا، أليست هذه نظرة مادّية بحتة للمرأة ؟ أليس هذا حقٌّ أريد به باطل ؟ أين شرف الوعد و شرف الكلمة ؟ أين الصّدق و المروءة و الغيرة ؟ لربّما تجد من يدافعون على الفكرة تلك هم أقذر النّاس و أسبقهم للفتنة، ذلك لأنهم يلتحفون لحاف الدّين و ما يخفونه عن الخلق أعظم.

ماذا عنّي ؟ أصدقكم القول، أنا فاجرة ملعونة، دفعتني قوانين المجتمع الجديدة و نفسي المحبّة للمال و المناصب إلى بيع جسدي في المزاد، فمن أعطى أكثر أعطيته بالمثل، في الأصل يسمّى هذا "عُهرا"، أما في الواقع فيسمّى: "الغاية تبرّر الوسيلة"، و قد صار الأمر مقبولا

إلى حدّ ما في أوساط المجتمع، نظرا لانتشار الظّاهرة و سكوت النّاس عنها حكّاما و محكومين، فلو وقف الكلّ ضدّ ذلك لما انتشر و لما استعملته الكثيرات في الترقّي.

قس على ذلك ظواهر أخرى لست معنيّة بها، حتّى ما رويت الآن لست الوحيدة المذنبة فيه، فلو توفّرت فرص العمل دون المرور على مثل هذه الشّروط التي وضعها الملاعين من محبّي الأرداف لما تعفّنت الأوضاع إلى هذا الحدّ، و لا زالت تتعفّن ما داموا يحكمون و يفرضون شروطهم القذرة علينا.

نعم، دخلت عالم العهر العمليّ، لأنّي أدركت أنّ من هنّ مثلي، من لهنّ مستوى دراسي ليس بالجيّد و جسد فاتن عليهنّ تعويض النّقص في الكفاءة بالقدرة على الإغواء، و أوّل تجربة لي كانت مع أحد موظّفي هاتفه الشّركة، كان مجرّد تقبيل و ملامسات، إلاّ أنّ النّتيجة كانت نقلي من منصب إلى آخر أعلى، لا داع لأن أذكر تفاصيل كلّ تجربة، فقد قمت بذلك خمس مرّات مع خمسة موظّفين، و كلّ مرّة كنت أتأكّد من أمر، و هو أنّه إن أردتُ منصبا أعلى فعليّ الكشف أكثر و إعطاء أفضل ما لديّ، فقمت بذلك كرها و أظهرت العكس، و كلّ مرّة أنزع من ملابسي ما يزيد مكانتي داخل الشّركة حتّى بتّ مشهورة، آخرهم المدير، نعم صاحب هاتفه الشّركة التي أنا سكرتيرته الحالية، كان ثمن المنصب غاليًّا لو تعلمون، اضطررت لأن أمارس معه الجنس في بيته طيلة يوم، كما شاء و اشتهى، كالدّمية بين يديه، غير أنّني حصلت أخيرا على هذا المنصب.

أنا فاجرة، تاجرة هوى، زانية، أنا كلّ ذلك نعم، لست آبهة، تعوّدت على الفسق، ما من سبب دافع سوى أنّي فقدت الأمل في الكلّ، قطعت علاقتي بالعفّة و الحلال منذ أن أفقدني الذي ظننته حبيبي و روح قلبي عذريّتي و هرب، منذ أن وعدني بالزّواج فأخذ أعزّ ما تملكه فتاة هكذا بكلّ سهولة، قهرني و قتلني و أنا في سنّ العشرين، تألّمت وحدي ثمّ وعيت الواقع الذي أعيش فيه، وعيته وعيا حقيقيًّا، و تعلّمت كيف أعيش الآن، عشر سنوات بعدها، أنا سكرتيرة، أتقاضى ما يتقاضاه مدير في شركة أخرى، لي قصر بمسبح و سيّارة فاخرة، لا يهمّني شيء الآن سوى المزيد من المال، المزيد من المتعة، المزيد من الحريّة.

لا أحد يستحقّ المشاعر الطيّبة الصّادقة، كما أنّه لا أحد يحتاجها الآن.

سأستمرّ في تقديم خدماتي، خدماتي الأخرى أقصد، لازلت أتمتّع بأثداء و أرداف عظيمة هزّازة، لازلت أملك خصرا فاتنا، و لازلت أجذب الأنظار و هذا الأهمّ، لن أتقاعد الآن حتّى أجفّف منابع المال و السّلطة من كلّ طامع، هكذا سيكون انتقامي من الحثالى عبيد الجنس.

بفضل منصبي هذا أنا على علم دائم بكلّ ما يدور في الشّركة، و على علم بماذا سيكون فيها من تجديد و تغيير في المستقبل القريب، إلا بعض الأسرار التي يؤثر المدير أن يتركها لنفسه، و الحديث في هاته الآونة عن هذا الشّاب الذي صنع الفارق، و انتقل من عامل نظافة إلى كاتب، هذا الأمر لم يحدث منذ تأسيس الشّركة، البعض رحّب و الكثير امتعض، كذلك هناك ما يسمّى بالجائزة السّنويّة للإبداع، تحت رعاية المدير بالذّات، لا أدري ما فحواها هذه السّنة، غير أنّها تقام لاختيار أفضل مخطط لتطوير الشّركة على مدى خمس سنوات مقبلة، لجنة مختارة تتكفّل بدراسة المخطّطات و تقييمها، و الفائز يتحصّل على جائزة ماليّة معتبرة، يستطيع موظّفو الشّركة على مختلف اختصاصاتهم المشاركة، ذلك لأنّ فكرة واحدة من مجرّد موظّف عاديّ يمكن أن تكون بداية لمشروع تنمويّ عجز عنه من هم في صميم الاختصاص، الأفكار ملك الكلّ، و كما يقال يوجد في النّهر ما لا يوجد في البحر.

هذا ما يُقال ...

هدف المسابقة تشجيع روح المنافسة بين الموظّفين و دفعهم للإبداع و الابتكار، خصوصا و إن كانت الجائزة المالية مغرية فبالتأكيد ستكون المنافسة ضارية.

هناك أهداف أخرى عميقة لا يعلمها سوى المدير، حتى أنا لا أدري لماذا يخصّص مبلغا كبيرا لمنافسة هو في غنى عن تنظيمها، فلو أراد لكان له على مكتبه ألف اقتراح من مستشاري الأعمال الذين يعملون معه ... إنّ في الأمر سرًّا.

على كلّ حال، لا يهمّني ماذا سيكون و ما الذي سيحدث، الأهمّ هو أنّني هنا حاضرة، أنتظر كلّ غبيّ شهوانيّ أفرغ جيبه و أسطو على ملكه كما أريد و أشتهي.

الفصل الثّامن: مالِك ـمدير الشّركةـ

أن تكون ربّ أسرة أمر صعب و يحتاج منك جلدا و صبرا، ذكاء تسيير كذلك، ذلك لأنّ كلّ فرد له احتياجاته و مشاكله داخل هذه المؤسسة الصّغيرة، و عليك كمسؤول أوّل أن تُغطّيَ تلك الاحتياجات حتّى تضمن بقاء النّظام سائرا كما تريد فتدوم سيطرتك على الكلّ، تخيّل نفسك في مؤسّسة كبيرة فيها من الأنذال ما فيها، و من الخونة و الاستغلاليين ما يجعلك دائما حذرا مترقّبا، لا تربطهم فيما بينهم رابطة، هوايتهم دوْس الآخر لبلوغ منصب أعلى، منهم من دفعهم الطّمع و الجشع إلى التّفكير في اعتلاء عرشي، يتربّصون بي و ينتظرون الزلّة حتّى ينقضّوا عليّ، أعلم من هم، فليرتاحوا و لا يتعبوا أنفسهم، فكلّ ما يخطّطون إلى زوال.

لم أرفع أسس "برو وورك" من أجل أن يأتي مثل هؤلاء و ينزعوا مني ملكي دونما حياء، هذا لن يكون، لكنّي بحاجة إلى "الحمقى" في الشّركة، الذين لا يهمّهم شيء سوى المنصب بأي ثمن كان، أنا أعطيهم ما يرغبون بالقطرة، أوهمهم بفتح الأبواب و الفرص ليصيروا أفضل، في الحقيقة أنا أذرّ لهم الفتات ليطلبوا المزيد، و لن يأتيَ المزيد إلا بعد مدّة طويلة، فأربح الوقت و هم يأملون، فأضمن ولاءهم و يبقوْن تابعين لي أمدًا آخر و هكذا دواليك.

بالنسبة لمن حسبوا أنفسهم أذكى و أكثر حيلة و مكرا، قد جانبوا الصّواب تماما، أنا على دراية تامّة بمخطّطاتهم، فلي أعين في كلّ مكان، لهم أصحاب حسبوهم إخوة يفضون إليهم أسرارهم، ما يفكّرون فيه و ما يريدون، حتّى قصص خياناتهم، بل حتّى مرّات دخولهم المرحاض أنا مُحصيها، زملاؤهم أعين نشرتها بينهم وهم لا يدرون.

أن تكون مديرا، هو أن تكون قائدا حربيًّا أيضا، فقط الحيلة تنفع مع هؤلاء.

أدري أنّ لهم مشاكل في العمل، و لي القدرة على حلّها و بسهولة أيضا، لكن لن أفعل، سأتركهم و مشاكلهم و أغرقهم في أخرى بينهم و بين زملائهم حتّى ينشغلوا بها و يبحثوا عن الحلول التي لن يعثروا عليها، فمثل هاته الضّباع إن خلا لهم الجوّ و استقرّ لهم رأي في ظلّ تحسّن الأوضاع الماديّة و الاجتماعية بحثوا عن أكثر من أجرة مجزية، بحثوا عن

"البريستيج"، و لن يجدوا ذلك إلاّ إذا رفعوا رؤوسهم فوق، و رأوني أنا متربّعا على عرش الشركة فيقولوا طامعين:

" كما وصل هو نستطيع أن نصل ... و لمَ لا ؟".

لن أترك لهم مجرّد فرصة التّفكير في مثل هذا الوهم، أفتح أبواب الترقّي مرّة على مرّة لكي لا يُقال أنّي أمنع الموظّفين من حقّهم الشّرعي، لكن و إن حصل ذلك سيكون من ارتقى تحت عين من أعيني التي لا تبرحه، و إن كان من هؤلاء الذين يريدون أكثر و قاموا بالخطوات الأولى و الفعليّة لذلك اختلقنا له مشكلا جعلناه قضيّة نشهّر بها، ليُطرد جزاء إقدامه على ما لا يجب.

زيادة على فتح المسابقات الدّاخليّة، هناك ما أسميته بالجائزة السّنويّة للإبداع و الابتكار، خصّصنا لها قدرا من المال كبيرا، هدفها الظّاهر تشجيع كلّ الموظّفين على ابتكار طريقة جديدة في تسيير الشّركة و رفع مستواها، مخطّط تطوير على مدى خمس سنوات قادمة، الكلّ يشارك في الاختصاص أو غيره، لا يهمّ.

الحقيقة لم يكن تنظيمي للمسابقة لهذا الهدف بالذّات، بالطّبع إن كانت هناك أفكار جديدة تستحقّ الدّراسة فعلى الرّحب و السّعة، لكن هدفها هو الإلهاء من جهة، حتّى لا يفكّر الموظّفون في غير الجائزة، و ينسوْن قليلا ما هو أهمّ: رفع الأجر القاعديّ و مشكلة الضّمان الاجتماعي و حقّ الموظّف في طبّ العمل و غيرها من الخزعبلات التي ترهقني و تختلس بعضا من مالي ليعيش بؤساء مثلهم في سعة، و من جهة أخرى اكتشاف من لهم قدرات و إمكانيّات فريدة في التّخطيط و الابتكار، هكذا بعد تكريمهم بالجائزة فرضنا عليهم حراسة مضاعفة، لأنهم التّهديد بعينه، فإن دخلوا في الصفّ و رضَوْا بالقليل، نجَوا، و إن كان فيهم من يريد أن يظهر نفسه و يرتقي بعلمه اتّهمناه و خوّنّاه، ثمّ جعلناه عبرة لمن يعتبر، بعدها الشّارع مآله.

هكذا أفكّر، و هكذا أخطّط.

في الآونة الأخيرة شدّني شاب ارتقى إلى منصب كاتب في المسابقة الكتابية الأخيرة، "ناجي وحيد"، على الرّغم من أنّ مستواه في الاختبار كان متوسّطا، إلاّ أنّ تقاريره و كلّ الملفّات الإدارية التي ملأها تنمّ على مستوى أكاديمي عال، أيعقل أن يكون من الذين يكتمون نيّاتهم ثمّ يظهرون حقيقتهم في اللّحظة المناسبة ؟

هو الآن بعيد على عرشي، لكن، يبقى احتمالا واردا.

سأكثّف الأعين حوله، لربّما يكون تهديدا و لو بعد حين.

الفصل التّاسع: ملاك 3

هو يوم استثنائيّ...

بعد ثلاثة أسابيع من الأخذ و الردّ بين أفراد لجنة التّقييم ستفرج نتائج المسابقة الخاصّة بأفضل مخطّط خماسي لتطوير و تحسين شركة "برو وورك"، في قاعة الحفلات نُظّم يوم تكريميّ لصاحب المخطّط و الذي سيُعلن عن اسمه بعد لحظات، الكلّ مدعوّون، من حارس الشّركة إلى المدير العام، يوم ليس كسائر الأيّام كوني أحضر أول مرّة لمثل هاته الاحتفاليات، كلام هنا و هناك عن الفائز المحتمل، يقال أنّه "ربيع"، المسؤول عن العلاقات الخارجيّة، يرشّحه الجميع فهو الأكثر خبرة في مجال التّخطيط، و الأكثر فسادا من حيث الرّشاوى و بيع الذّمم، مثله من كان طمّاعا و جشعا لا يترك فرصة كهذه تفوته، لذا لا يشعر الحاضرون بالحماس و هذا بادٍ على أوجههم.

يتقدّم المدير العام و يلقي خطابا جافًّا كالعادة، يزيد من ملل السّامع و يدفعه للانشغال بالحديث مع الزّملاء في مواضيع أخرى، بعد عشرين دقيقة تحين لحظة الحقيقة، اللّحظة التي سيُعلن فيها رئيس لجنة تقييم المشاريع اسم الفائز، كنت الوحيدة التي على الأعصاب، و بدت عليّ جليًّا أعراض التوتّر، لا أدري لماذا، و كأنّ أمرا جللا على وشك الوقوع:

" و الفائز بجائزة أفضل مخطّط خماسيّ لتطوير شركة "برو وورد" هو ...".

جلّ الأنظار في رئيس اللّجنة، و بعضها في ربيع، و الذي يبدو مزهوًّا فرحا قبل سماع اسم الفائز.

" الفائز هو "ناجي وحيد"، تحيّة كبيرة للفائز".

هدوء تام ...

يخيّم الصّمت على القاعة ...

شيء لا يُصدّق، غير معقول ...

ردّة فعلي الأولى هي النّظر في وجه "ربيع"، لن تتخيّلوا حجم الصّدمة البادية على وجهه، ترجمتها تلك العيون الشّاخصة و الفم المفتوح، أعين الجميع متأمّلة في الفراغ، ينهض "وحيد" من مكانه وسط الحاضرين، ينزل الأدراج في صمت و هدوء، يصعد على المنصّة و يتقدّم نحو المايكروفون، ينتظر أمرا قبل أن يلقيَ كلمة الفائز، كان ينتظر التّحيّة و التّصفيق الذي طال و لم يسمعه، بقدر دهشتي الكبيرة كانت فرحتي عارمة، صحيح أنّي شاركت و لم أفلح، لكن فوزه بالنّسبة لي كان فوزي، و جرأته الكبيرة على مقارعة من هم أكثر خبرة منه رغم القيل و القال كانت أفضل دليل على إرادته و رغبته الكبيرة في هدم الفكرة الرّاسخة في أذهان هؤلاء: التطوّر و الازدهار ممكن و كائن، من يبحث عنه يجده، التوكلّ على الله و الاجتهاد فقط يمكّناك من الوصول إلى هدفك.

وقفت دون أن أدري، و صفّقت تصفيقا حارًّا آلمتني معه كفّاي، لكنّي استمررت فيه حتّى تبعني الحاضرون فوقفوا و صفّقوا معي مذهولين، و أنا أرى في "وحيد" أستشعر الفخر و الاعتزاز بهذا الإنجاز، ابتسامته الخجولة رسالة قويّة لكلّ من شكّك في قدراته و كفاءاته، لا يزال "ربيع" فاتحا فمه غير مصدّق لما يحدث، فلتكن له عبرة، فليس كلّ شيء يُشترى بالمال.

لم يكن أحد ليتنبّأ بفوز "وحيد"، أمّا الآن فقط صار محطّ أنظار الكلّ.

يلقي كلمته التي قال فيها:

" أشكر لجنة التّنظيم على اختيارها لعملي كأفضل مخطّط خماسيّ لتطوير الشّركة، كما أشكر المدير الذي فتح الأبواب لكلّ الموظّفين للمشاركة بكلّ حريّة في هذه المسابقة، الحمد لله كثيرا، الحمد لله أوّلا و أخيرا".

توالت التّصفيقات و يتقدّم المدير ليسلّمه الشّيك بمبلغ مائتي ألف دينار، و على المدير ابتسامة مفتعلة و كأنّه مجبور، في الحقيقة لم أكن لأهتمّ بكلّ تلك النّظرات الغيورة، و إنّما فرحة الانتصار تلك أنستني كلّ شيء.

جلسنا بعد تصفيق طويل، ينزل "وحيد" من المنصّة و هو يمشي ، يرفع رأسه و ينظر فيّ، بين كلّ تلك الجموع ينظر فيّ أنا فقط، و كأنّه يعلم مكان جلوسي، رأيته يبتسم، أقسم أنّه ابتسم لي، لم أصدّق، لا أدري لماذا لكن أحسست بفرحة اخترقتني و استعمرت أراضيّ و سمائي، لماذا كلّ هاته الأحاسيس الغريبة مرّة واحدة ؟ الفرحة، الانجذاب، الاهتمام، الافتخار، كلّها في عشر دقائق ...

أحقًّا كانت وليدة عشر دقائق ؟

قبل انتهاء الحفل شعرت بأمر غريب آخر... بالخوف و الفزع، هكذا و بشكل مفاجئ، و كأنّ أمرا فضيعا سيحصل بعد الفرحة هاته، تهديد قريب بعيد، لا أعلم، لا أدري، لكن صدري انقبض بشدّة، رحماك يا الله، فليكن شعورا كاذبا، فلتدم أفراحنا لمدّة أطول يا الله.

كانت احتفالية قصيرة، وددت لو نزلت و حيّيته بنفسي، لكنّي استحييت منه، كما أنّ الشّعور "ذاك" تغلّب عليّ و جعلني لصيقة مكاني لا أتحرّك منه، أحتاج لأن أرتاح قبل العودة إلى مكتبي ...

فليكن خيرا إن شاء الله... فليكن خيرا ... بإذن الله.

الفصل العاشر: ربيع

لو تعلمون حجم الكره الذي أكنّه الآن لذاك الصغير السّافل، كيف تجرّأ و أخذ منّي ما كنت أحقّ به منه، مع كلّ الوعود و الضّمانات، كلّ ما أعطيته من مال لرشوة اللّجنة لم ينفع، أخذوا المال و كأنّ شيئا لم يكن، آثروا الشّفافيّة ربّما، أحسّوا بالخطر يهدّدهم، خافوا فعدلوا عن الصّفقة، لقد خُدعت، الآن لن أستطيع حتّى استعادة مالي أو الإبلاغ عنهم، لأنه سيُقضى عليّ بصفتي الرّاشي، هم الآن في أمان، سيكون كلّ شيء على ما يرام ما دامت اللعبة في السرّ لم تُكشف، صرت أنا الخاسر الوحيد، تبًّا لي و لما فعلت.

فسادهم فاق فسادي، جعلوا الأمور تمرّ ببساطة دون إثارة شكّ، اللّعنة، ضاعت منّي مائتا ألف دينار، و من أخذها ؟ حقير كان بالأمس عامل نظافة فاشل، لن يهنأ بها ما دمت حيًّا.

لقد حذّرني منه "كريم" كذلك "جابر" و "فهيم"، كلّهم لمحوا فيه التّهديد القائم، لم أعر كلامهم اهتماما، و قلت أنّ بيدي المال، لا هذا و لا سواه يستطيع مجاراتي في شراء الذّمم الرّخيصة، فحبّي للمال و السّلطة يدفعني لأن أجازف أكثر، و في كلّ مرّة أفلح، إلاّ هاته، لا أدري من أين أتانا هذا الملعون، سأنتقم من أعضاء اللّجنة و من هذا الغرّ، لن يهنأ لي بال حتّى أراه متسوّلا مذلولا.

لهذا الأمر اجتمعنا نحن الأربعة في منزلي، أقصد "كريم" "جابر" و فهيم"، تحدّثنا مطوّلا عن هذا الذي دخل مؤسّستنا مؤخّرا فلمع نجمه بهذه السّرعة، تكلّمنا و بالتدقيق في أمره، من اليوم الذي وصل فيه إلى الشّركة حتّى استلامه الجائزة البارحة، وجدناه من هؤلاء الذين يخفون مستواهم ليبتغوا الأفضل، ليس من طينة الحثالى، فلازالت فيه تلك الأخلاق التّي كنّا نسمع عنها، الصّدق و الاعتدال و كلّ ما يتبع ذلك من مزايا أكل عليها الدّهر و شرب، المهمّ، بعد حديث مطوّل استمرّ إلى آخر اللّيل خلُصنا إلى خطّة جهنّميّة سنطبّقها قريبا، تكون نتائجها وخيمة على هذا الذي حسب نفسه ذكيًّا و مثقّفًا، لذلك كان من اللاّزم أن يشارك كلّ واحد فينا بمبلغ ليس بالقليل حتّى نتمكّن من التّحضير لها، سأدفع المال نعم، لكن سأُشفي غليلي منه، هاته المرّة سأوقعه فلا ينهض، لن يحلم بالعودة إلى الشّركة أبدًا.

إلى ذلك الحين، سأفكّر وحدي بطريقة لأنتقم بها من أعضاء اللّجنة، واحدا واحدا، لي كلّ الوقت لذلك، سيندمون ... نعم سيندمون..

الفصل الحادي عشر: جابر

أحبّ أن أكون جبَّارًا فوق الكلّ، أنا العملاق و هم الأقزام، يسمّونه جنون العظمة، أولائك الضّعاف الذين لا حول لهم و لا قوّة، أنا أسمّيه "الحقّ في التّعالي"، فإن كنت قادرا على أن تدوس على من هم أسفل منك فلمَ لا؟ جرب ذلك لمرّة، ستحسّ بمتعة، ستترك في أنفس من هم تحت هيبة، سيخافونك، يرهبون قدومك، كذلك يجب أن تكون في عالم اللاّعدل هذا.

أنا مترجم في هاته الشّركة، أعمل كثيرا مع "ربيع"، فهو المسؤول عن العلاقات بين شركتنا و الشّركات الأخرى، الوطنيّة و الأجنبيّة، يأتي لنا بالزّبائن و يقنعهم بجودة منتوجنا، أنا ألعب دور الوسيط بين المسؤولين، أخصّ بالذّكر من يتعاملون معنا من خارج الوطن، "ربيع" صديقي المقرّب، ما يفرحه يفرحني و ما يحزنه يحزنني، كبرنا في نفس الحيّ، و صرنا شبابا و لم نفترق، لا زلنا معا الآن، في نفس الشّركة، إن طلب منّي خدمة قدّمتها له بصدر رحب، لكن هذه المرّة غير، فقد كان طلبه مميّزا.

عشنا مؤخّرا أمرا لم يكن في انتظاره أحد، أحد الأنذال الجدد ارتقى في المنصب و أخذ جائزة أفضل مخطّط خماسيّ و لا يزال مجرّد كاتب، خطف عُنوةً ما كان نصيب "ربيع" ظلما و عدوانا، أخفى حقيقته و خدع الجميع بوجهه البريء، أراد إيهامنا، و في الأخير، كان في جعبته ما أدهش به الجميع، لم يستعمل الوسائل التي نستعملها نحن في الاحتيال فهو من النّوع الآخر، من النّوع شديد الخطورة، الذّي يعتمد على نفسه وفقط دون الاستعانة بأحد، هو مُجدّ مجتهد، و مع ذلك اقترف خطأً فادحا، فقد كشف أوراقه اليوم، أدركنا نحن "الضّباع" ما تنويه "الفريسة"، لن يطول بقاؤه في الشّركة و نحن هنا.

التقينا نحن الأربعة، أنا "كريم"، "فهيم" و"ربيع"، في منزل هذا الأخير، وضعنا خطّة للإيقاع بهذا المدعوّ "وحيد"، كونه تهديدا في المستقبل القريب، لن نتركه بعد الذي أظهر من حيلة و دهاء.

في مبادرة فرديّة منّي قمت بتلويث صورة الفاشل في حضرة نائب المدير و المدير العام أيضا، جعلت من "وحيد" هذا عدوّهما وعدوّ الكلّ، أكاذيب و روايات مختلقة تمهّد للضّربة القاضية، الملعون لا يعلم ماذا ينتظره.

سأتمتّع مرّة أخرى بالدّوْس على من حسب نفسه قادرا، سنجعل منه عبرة لمن يعتبر، أنتظر اليوم الذي سيدخل فيه من وكّلناه بالمهمّة ليلعب دوره في هاته المسرحيّة، هذا الممثّل الذّي كلّفنا غاليا سيترك في أذهاننا أجمل ذكرى ... ذكرى الانتقام الجميل.

إمّا أن تكون الصيّاد أو تستسلم كالطّريدة ...

هذا هو الواقع، و لو لم يكن الحقيقة.

الفصل الثّاني عشر: المكيدة

و كانت المكيدة، حيكت باحتراف فوقع فيها "وحيد" و صار من المنبوذين.

ماذا حدث ؟

ماذا جرى ؟

كان فحوى خطّة "ربيع" و زملائه أن يفجّروا فضيحة مفتعلة و يتّهموا "وحيدا" بها، و هل توجد فضائح أكثر شهرة من الفضائح الجنسيّة ؟ هي الأكثر استقطابا و حديثا بين العامّة و الخاصّة، فاعلوها يوصمون بالعار طيلة حياتهم، هكذا أرادوا أن يكون مصير من جعلوه عدوًّا لهم، و كذلك كان.

اعتمد "كريم"، "ربيع"، "فهيم" و "جابر" على خدمات "العاهرة"، السّكرتيرة "نعيمة" للإيقاع بالشّاب مقابل مبلغ خياليّ، شاركوا جميعا في الدّفع، فما بقي لها سوى أن تمضيَ في خطّتها.

دخلت يومها إلى مكتب "وحيد" و كان وقت استراحة الموظّفين، لم ينتظر قدومها فقد أتت بغير موعد، فتحت أزرار قميصها و ارتمت عليه، فسقطا على الأرض و هي فوقه، أخذت بتقبيله بقدر ما استطاعت والشّاب يصرخ و يحاول الانفلات من قبضتها القويّة، كان له ذلك لكن بعد أن أخذت صورة و هما مع بعض في وضع حسّاس، كانت حركتها سريعة و غير متوقّعة، عمل احترافيّ لساقطة ألفت الإيقاع بالرّجال.

بعد أن انفلتا و انزوى "وحيد" عنها مرعوبا، ضحكت و قالت:

" هي المهمّة القذرة الأخيرة، كان من اللاّزم تنفيذها، آسفة".

خرجت بسرعة من المكتب تاركة الشّاب مصدوما لا يدري ماذا حصل.

بعد أقلّ من ساعة انتشرت الصّورة على مواقع التّواصل، فعلم الجميع بالأمر، شاركت "نعيمة" الصّورة على صفحات الفايسبوك الخاصّة بموظّفي الشّركة و على الإنستغرام مصحوبة بعنوان: " لحظات ساخنة مع حبيبي الجديد".

تمّ اتّهامه أمام جميع الموظّفين بالقيام بعلاقة مخلّة بالحياء مع سكرتيرة المدير، هاته الأخيرة لم تنكر ذلك بل أكّدت أنّها أقامت علاقة جنسيّة مع "وحيد" في مكتبه و عن تراضٍ بينهما.

طفق المسكين يكذّب ما قالته، يصرخ و يترجّى وسط الجمع الذين تجمهروا أمام مكتبه، كانت المصيبة أكبر بوصول المدير و نائبه، لم يرد أحد سماع ما يقول، أمر المدير بتوقيف "وحيد" و نعيمة" عن العمل مؤقّتا ريثما تفرج نتيجة التّحقيق، بعد يومين تم استدعاؤهما، و مرّا على المجلس التّأديبيّ، و الذي قرّر مصيرهما بعد الذي حدث.

بمرارة كبيرة، بإحساس كبير بالظّلم و القهر، تُسحب الجائزة من "وحيد" و يُطرد من الشّركة التي بدأ فيها خطواته الأولى، و معه من أوقعته في الشّرك، لم يكن بحوزته ما يدافع به عن نفسه، كلّ ما حصل كان نتيجة تدبير محكم، إضافة إلى الاعتراف الكاذب للسّكرتيرة ما سرّع إنهاء القضيّة، كذلك كان الأمر في صالح المدير، فانتشار الخبر و تلطيخ سمعة الشّركة كان أكثر شيء يخشاه، لذا إنهاء القضيّة بسرعة يُسرّع نسيانها بين الذّاكرين.

الكلّ تنهّد و ارتاح، فقد تخلّصوا من "تهديد" أدخل الشكّ في النّفوس، له آمال و أحلام، له قدرات تمكّنه من أن يطوّر نفسه ليرتقيَ أكثر، و هذا هو الخطر بعينه.

شخص واحد ساانده، رغم كلّ الدّلائل التي كانت ضدّه و التّهم التي أدانته، "ملاك" التّي كذّبت كلّ ما قيل عنه و لُفّق ضدّه، لم تصدّق كلمة مما سمعته في هاته القضيّة، بل ذرفت دموع الحزن و الأسى عليه، لأنّ الشّاب لا يستحقّ ما حصل له، بالفعل لا يستحقّ.

يغادر "وحيد" الشّركة مذموما، مخذولا، محسورا و مكروها، فقد نجحت خطّة "الشّياطين الأربعة"، و بات الآن بطّالا دون عمل، لم يحسّ في حياته بمثل هذا الألم الذي نخره من الدّاخل، لم يكن الطّرد في حدّ ذاته ما أثار حزنه و غضبه، بل اتّهامه باطلا في شرفه و عفّته، دموع حارّة تحفر وجنتيْه و هو عائد إلى المنزل حاملا بصعوبة حقيبة أوراقه و معها ذكريات أليمة ككابوس يأبى أن ينتهي.

الفصل الثّالث عشر: نعيمة 2

كنت بانتظاره خارج المؤسّسة، لم أشأ ترك الأمور عالقة هكذا و أذهب، أردت أن أكلّمه رغم ما أقدمت عليه، من جهته لن يكلّمني و هذا احتمال، سأجرّب حظّي، لست نادمة على كلّ حال، فلازلت السّاقطة التّي كنت، لكن أحسست بشعور غريب لم أستطع تفسيره، هي رغبة ملحّة بمعرفة فيما يفكّر، خصوصا الآن، هذا الشّاب الذي تألّبت عليه قوى الشّيطان فكسرته قبل أن يشتدّ عوده.

خرج لتوّه من الشّركة، يبدو حزينا و هذا طبيعيّ، خطاه متثاقلة و رأسه يكاد يلامس الأرض، أسرعت نحوه دون أن يشعر بي، اتّبعته حتّى اقتربنا من حديقة عامّة فاستوقفته، ناديته من خلف:

" "وحيد" ... " ناجي وحيد" ".

استدار ببطء، رآني، أنعم النّظر فيّ، و بيأس و حزن كبيريْن قال:

" بكم اشتروْك هذه المرّة ؟".

لو تعلمون شدّة وقع هاته العبارة على نفسي، أعلم أنّي عاهرة منبوذة، أبيع نفسي مقابل المال، لكن قوله لـ "هذه المرّة" آلمني بحقّ، و كأنّه أكّد و أسهب شرحا : " بكم بعتِ نفسك اليوم لمن طلب خدماتك القذرة ؟" ، سأعيدها مرّات كثيرة أخرى، مُتيقّن هو من ذلك، قد أغلق أبواب التّوبة في وجهي، هذا إن تُبت و قُبلت توبتي.

" أريد التكلّم معك، خمس دقائق فقط".

ظننت أنّه سيرفض، غير أنّ ردّة فعله كانت عكس ما توقعت، استسلم بسرعة للهدوء و السّكينة، ثمّ أشار بيده إلى مقعد في الحديقة العامة فجلسنا، بعد لحظة سكوت مريب بدأت:

" كانت شروط اللّعبة، و العرض كان مغريًا".

لم يستدر، و بقي ينظر في الأرض.

" ألا تريد أن تعرف هويّة من أطاح بك ؟ من خطّط لطردك ؟".

لم يجب، بقي ساكتا، أمّا أنا فانتابني التّوتّر ...

" كانوا أربعة "كريم"،"ربيع"، فهيم" و "جابر"، الغيرة كانت دافعهم، الخوف من أن تكون تهديدا لهم في المستقبل، الكلّ كان ضدّك، لكن هؤلاء و بمساعدة نائب المدير الذي أشرف على تكوين هيأة المجلس التّأديبي كانوا الأكثر كرها لك".

" يعني فاسقة، عاهرة و واشية أيضا، لقد جمعت صفاتًا لو مُزجت بالمحيط للوّثته". قالها و الاشمئزاز منّي ظاهر على وجهه.

الآن بالفعل غضبت، فأردت أن أغيظه أكثر:

" لقد دفعوا لي ما أستطيع به العيش لحياتيْن، لا أحتاج ذاك العمل الآن، أضيفك شيئا آخر و أصدقك فيه: حتّى نائب المدير أثّر على لجنة المجلس التأديبيّ حتّى لا يسمعوا منك و يأخذوا فقط بأقوالي المدعومة بدليل ماديّ، لم يكن باستطاعتك شيء على كلّ حال ...".

ضحكتُ ضحكة مفتعلة، كنت أنتظر منه ردّة فعل قويّة، كأن يفقد عقله و يضربني، يشتمني على الأقلّ، لكنّه بقي جالسا ينظر فيّ، وقف حينها و قال بهدوء:

" قُمتِ بما اعتقدته الأفضل لك، ما أنتِ مؤمنة به، لا ألومك، فأنت كالمجنون الذي رفع عليه القلم، هو غير مؤاخذ عمّا يفعل، أفقدك المال عقلك، فصار هدفك الأسمى، على حساب كرامتك، عفّتك، على حساب سعادة و مستقبل الآخرين، ماذا أقول ؟ ليس لديّ ما أضيفه ...".

ما كان ذلك ؟ لم أفهم تماما ما قاله...

" مثلك لا يُحاسب، لا يُعاتب، أنت مسكينة و فقط ".

رأيته يذرف دمعة، نهض، ثمّ مضى في سبيله، لم تفارق عيناي خياله الذي تبخّر وسط العامّة، أمّا أنا فزُلزلت، هدّمني من الدّاخل، كلماته صواعق أجهزت على ما بقي منّي قائما، و ما بقي منّي كثير.

ما أردت هو الحديث معه فقد أثار شفقتي، ندمٌ أردت التخلّص منه بدفعه أكثر لكرهي، بإرغامه على ضربي و شتمي حتّى أنال منه بدوري فيكون لي بذلك سبب أبرّر به فعلتي، لكنّه لم يترك لي فرصة ذلك، كان أذكى، أكثر نبلا، أكثر إنسانيّةً منّي.

ماذا فعلت ؟ كيف قمت بذلك ؟

أحقًّا سيُنسيني المال ما فعلته بهذا المسكين ؟

بل أنا المسكينة التي سأعيش ما بقي لي من حياة في هذا الجحيم، جحيم النّدم و تأنيب الضّمير ...

صحيح، استفقت متأخّرة ... أستحقّ هذا العذاب.

أخذتُ الحقيبة التي كنتُ حريصة على إخفائها، فيها المال مكدّس، مال "الشّياطين"، مال الحرام الذي به دمّرت حياة "وحيد"، أشعر بالقرف، بالاشمئزاز، درنٌ يملؤني فيُغرقني من الدّاخل، ما كان منّي سوى أن آخذ الحقيبة، و بعيدا عن الأنظار في زاوية مخفيّة أفرغتها في حاوية النّفايات، كلّ ما كان فيها، أخرجت القدّاحة التي أستعملها عادة لإشعال سجائري، ألهبت بها آخر ورقة نقديّة و رميتها لتنقل شعلتها لأخواتها، بسرعة أضرمت النّار فانتفضت و هاجت، أمّا أنا و بنفس السّرعة اختفيت، سأبتعد عن الكلّ، سأترك كلّ ما ملكته و كسبته هنا و أذهب، بعيدا لا أدري أين، المهم إلى مكان أراجع فيه نفسي، علّني أعود كما كنت قبلا: إنسان.

الفصل الرّابع عشر: وحيد 3

يا فرحةً لم تدم، و يا حزنا عُدتَ هرولةً فوجدتني منتظرا مستسلما لجبروتك ...

حيكت المكيدة و كانت ضدّي، وقعت فيها و أنا الذي حسبت نفسي قادرا على تجاوز كلّ العقبات في طريقي، طيش شاب قليل الحيلة و الخبرة، كنت دائما كتوما، و عزمت على البقاء كذلك إلى غاية تحقيق مآربي، لكنّي وقعت في الفخّ، تلك المسابقة كشفت أوراقي، كان شغفي كبيرا، كميّة الأدرينالين التي سرت في عروقي وقتها لا توصف، شعرت بالحماس، فوضعت كلّ طاقتي و إمكانيّاتي في ذاك المشروع، كان خطئي القاتل.

ذنبي الوحيد هو أنّي أردت الفوز بالمسابقة بجهدي، بعرق جبيني، أردت من العالم أن يعرف أنّي قادر و متمكّن، أن أكون فردا فعَّالا في المؤسّسة هذه، قادرا على المساهمة في رقيّها و ازدهارها، حسبت الأمور حسابا منطقيًّا، و نسيت للحظة أنّ المنطق لا وجود له في هذا الواقع.

كنت كذلك الابن الذي إذا تحصّل على علامة جيّدة في مادّة أسرع إلى أبيه ليريه إيّاها، فيفرح الأب بها و يجازيه جزيل الجزاء على جهده المقدّم، كنت على سجيّتي و أخلصت النيّة في ذلك و قلت: " اليوم سأريهم ماذا يمكنني فعله، سيحترمني الجميع و يعترفوا بي كندٍّ لهم، لا فرق بيني و بينهم، سأثبت نفسي بإبراز قدرتي على منافستهم، سينبهرون بالتّأكيد".

حقيقة انبهروا، لكنّي دفعت ثمن تسرّعي و حماسي الزّائد غاليا، الحسد يحيط بنا من كلّ جانب، حتّى و لو لم نشعر به، ربّما مخفيّ لكنّه موجود، ينتظر فرصة ظهوره علنا، مكيدة توقع بالمظلوم من حيث لا يدري، ما حصل لي تماما.

أخطأت نعم، و تحسّرت كثيرا.

تكلّمت مؤخّرا مع "نعيمة" و روت لي تفاصيل الخطّة الشّيطانيّة التي حيكت حياكة من كان في الحرفة خبيرا، لم أطل معها الكلام لأنّ الكلام مع أمثال من باعوا إنسانيّتهم مضيعة وقت، لكنّها ذكرت أسماء الأربعة الذين تعاونوا على الإثم و العدوان، و معهم نائب المدير، و بمباركة المدير و لجنة المجلس التّأديبي التي لم تسمع لي، يقال أنّ "القانون لا يحمي

المغفّلين"، لكن من لا يملك دليلا ماديًّا يبرّؤه من اتّهامات باطلة يعتبر مغفّلا ؟ أهاته هي العدالة ؟ أوراق ؟ صور ؟ وثائق ؟ و إن تمّ الحصول عليها خداعًا كما حصل معي كيف نفصل في الأمر ؟ عدالة البشر عدالة ظالمة.

خرجت من المؤسّسة باكيا، اتُهمت باطلا في شرفي أمام الكلّ و لم أستطع الدّفاع عن نفسي، حسرة و حزن كبيريْن ممزوجان بغضب دفين لم أطلق له العنان، و ما فائدة ذلك بعد الذي حصل ؟

عدت إلى المنزل منهكا تعبا، و لا زلت غير مصدّق لما حدث، و كأنّه كابوس، تمنّيت لو كان كابوسًا فالكوابيس لا تدوم، مهما طالت فهي إلى زوال و انتهاء، هنا، الواقع هو الكابوس اللّعين، و الكابوس هو الواقع الأليم، فأين الهروب ؟

كذبت على أمّي و أخواتي و قلت لهنّ أنّي في عطلة مرضيّة لثلاثة أيّام، ربحا للوقت ريثما أستعيد وعيي و أرتّب أفكاري ...

لكن ماذا سأقول بعد انقضاء الأيّام الثّلاثة ؟ طُردت ؟ استقلت ؟ هكذا بكلّ بساطة ؟ و الله لا أدري.

لم أجد مخرجا و لا ملجأً سوى الله أشكو له حزني و همّي، أدعوه بكرة و أصيلا بدموع منهمرة لم ترها حتّى أمّي، دعوت الله في صلاتي أن ينصرني و يجعل لي من لدنه مخرجا فهو القادر على كلّ شيء...

الله رحيم بعباده، يضعهم في امتحان، فإن صبروا و احتسبوا خفّف عليهم وطأته حتّى يجتازوه، ثمّ عوّض صبرهم و احتسابهم حسنات، و في دنياهم بالخير العميم، دون شحّ و قبض، فقط على المؤمن أن يكون صادقا، النيّة الصّادقة، تتبعها أُقوالنا و أفعالنا، كذلك صبرنا على الشّدائد، تكلاننا على الله صادق حتّى الخلاص.

أو تدرون ؟ لم يطل انتظاري ففي اليوم الثّالث من عطلتي المرضيّة المزعومة دُقّ الباب، فتحته فإذا به ذاك الشّخص الذي أرسله الله مُحقّقا دعواتي، كمعجزة مسخّرة لي وحدي، الشّخص الذي سيغيّر مجرى حياتي.

الفصل الخامس عشر: ملاك 4

حسبت أنّ الإنسان و بقدرته الذّاتية على التحمّل و إمكانيّاته الكبيرة على التّفكير و مع مزيد من الاجتهاد و بذل الوقت يستطيع وحده الوصول إلى ما يريد، كنت مخطئة، بل ساذجة إلى أبعد الحدود، فكما أنّ قوى الظّلم و الفساد تجتمع لتضرب و تأخذ الغنيمة من فم المظلوم، علينا نحن أن نجتمع و نتعاون و نبذل جميعا و معا قصارى جهدنا لمواجهة هؤلاء، أن تواجه وحدك محن و صعاب الدّنيا المتكالبة عليك أمر صعب،تقريبًا مستحيل.

وحدي لم أستطع القيام بشيء سوى أنّي رفضت كلّ ما قيل، كلّ ما سمعت، رفضت من أجله كلّ شيء و هو البريء، لكن الشّعور بالألم من أجل الغير لا يغيّر من الواقع شيئا، التّغيير شروطه كثيرة: التّفكير، الإحساس بقيمة ما ستنجزه و ثمّ و خصوصا الفعل.

الدّليل –الكاذب- كان ضدّه، غير أنّي فكّرت في أمر إذا تمّ سيكون اليد التي تخرجه من الوحل الذي غاص فيه رغما عنه.

لم يطل ذلك، و نفّذت ما كان يدور في ذهني، صحيح أنّي واجهت صعوبة في الأوّل لكنّني أفلحت.

بما أنّي مسؤولة التّوظيف و كلّ الملفّات الخاصّة بالموظّفين بحوزتي، القدامى و كذلك الجدد، بحثت عن عنوان "وحيد"، وجدته، و نقلته قبل أن أُضطر لمسح الملفّ نهائيًّا من بنك المعلومات فقد كانت أوامر المدير، مباشرة بعد قرار المجلس التّأديبيّ الجائر تم حذف ملفّه الإلكترونيّ، و قبله التخلّص من ملفّه الورقيّ، في اليوم الموالي تحرّكت من جهتي و حضّرت لأمر خطّطت له، و في الثّالث توجّهت لبيت "وحيد"، طرقت الباب، بعد لحظة، فتحه هو، كم كانت دهشته كبيرة حينما رآني، ضحكت حينها و قلت:

" ضيف من ضيوف الله، أبإمكاني الدّخول ؟ طبعا إن كان أهلك هنا".

تلعثم قليلا، توتّر كثيرا، كانت أوّل مرّة أراه فيها هكذا مرتبكا ...

" ط ... طبعا تفضّلي ... على الرّحب و السّعة".

دخلت و إذا به منزل بسيط متواضع، أثاث خشبيّ عتيق و جميل، يشبه بيوت الحكايا القديمة، تلك السّتائر المزيّنة و الأواني الزّجاجيّة الملوّنة، رائحة الياسمين في المنزل تعبّق الأجواء، منبعثة من إناء موضوع في غرفة استقبال صغيرة، دخلت و جلست، فأتت امرأة عجوز بالتّأكيد هي أمّه، تتبعها أخواته الستّ، سلّمن عليّ سوى أصغرهن، و التّي رمقتني بنظرة حادّة مُهدّدة أحسست بالانزعاج منها، على كلٍّ، لم يكن الأمر جللاً.

وجود فتاة غريبة بينهنّ هكذا دون سابق إنذار لم يزعجهنّ، لم يسألنني حتّى من أكون، فبادرت سريعا بالكلام حتّى أوضّح الأمر:

" أنا زميلة "ناجي وحيد" في العمل، أتيت اليوم لـ ...".

قاطعتني الأمّ قائلة:

" يا ابنتي، خذي لكِ نفسا، لِمَ العجلة ؟".

تضحك و يتبعنها الأخوات في ذلك، أُحرجت منهنّ، أحسست و كأنّي طفلة صغيرة تجهل أصول الضّيافة، سرعان ما زال هذا الشّعور بقدوم "وحيد"، و لدهشتي لما رأيت بقيت صامتة، أتى و بيده صينيّة فيها كؤوس شاي ساخن يفور و معها حلويّات، وضعها على الطّاولة و جلس بجانب أمّه، نظر إليّ ثمّ قال:

" تفضّلي".

كيف هذا ؟ الرّجل يحضّر الشّاي و الحلويّات لامرأة و ستة بنات جالسات ينتظرن قدومه ؟ ما معنى ذلك ؟

لم يطل انتظاري فقد أجابت عن تساؤلي أخته الصّغرى و كأنّها قرأت أفكاري:

" أخي أمهر محضّر للشاي، حتّى نحن البنات لم نستطع التفوّق عليه في ذلك، أمّا الحلويّات فمن تحضير أختي الكبرى "جميلة"".

فهمت، حضّره بنفسه لأنّ الضّيف عندهم يستحقّ أفضل ما تبذله، ما شاء الله.

بعد شرب الشّاي الذي كان بالفعل لذيذًا، و أكل بعض الحلويّات التي جارته في اللّذة، حان وقت الحقيقة:

" لا بدّ و أنّكم تتساءلون عن سبب مجيئي و كيف عرفت عنوان منزلكم، كلّ ما في الأمر هو أنّي أخذته من ملفّه الإلكترونيّ في الشركة، و بما أنّه ...".

قبل أن أكمل كلامي غمز لي "وحيد" حتّى لا أخوض في الموضوع، فهمت إشارته و أدركت أنّه لم يطلع أهله على خبر طرده من المؤسّسة، فأكملت قائلة:

" و بما أنّه يبحث عن فرصة أخرى تفتح له أبوابا نحو مستقبل أفضل، فقد أتيته بها ".

ترتسم نفس الابتسامة على أوجه الأخوات إلاّ الصّغرى، و التي بقيت صامتة دون تفاعل، أمّا "وحيد" فقد رأيت وجهه و قد أشرق بأنوار الأمل دون أن يجهر بالفرحة، فسألني مستفسرا:

" ماذا تقصدين يا آنسة "مكارم" ؟".

أوّل مرّة يناديني هكذا مباشرة بلقبي.

" أقصد أنّ أبي يحتاجك في مؤسّسته لتكون سكرتيره الخاصّ، يده اليمنى، أمين أسرار عمله، فما ردّك ؟".

اندهشن جميعا و لم يصدّقن ما سمعنه للتوّ، كلّ الأنظار الآن نحو "وحيد" الذي و من شدّة الصّدمة لم يجد بماذا يجيب ...

" أتوافق يا سيّد "ناجي" ؟".

بقيَ لحظات دون حركة ينظر فيّ، لا بدّ و أنّه يتساءل الآن: كيف يكون أبوها مالك شركة و هي تعمل في أخرى برتبة أقل ؟ أحقّا ما تقوله صحيح ؟ هكذا مباشرة سكرتيره الخاص ؟ سكرتير المدير العام للشّركة ؟

أطال قبل أن يردّ... أفصح أخيرا:

" موافق ".

كلمة أسمعتني الشّكر و العرفان، كلمة أرتني دموع فرحة فتيات يتمنّين كلّ الخير لأخيهنّ، تقبيل و عناق، دعوات خير من امرأة عجوز بكت كالطّفلة الصّغيرة، لم أتمالك نفسي أنا أيضا فبكيت معهنّ و بصوت مرتعش رددت:

" الخير فيما اختاره الله، ما أنا إلا سبب من الأسباب".

بقيَ "وحيد" واقفا مذهولا، غير مصدّق لما يحدث في هاته الأثناء، يحاول فهم ما يجري و يتأكّد من أنّ هذا ليس بحلم، فكان كذلك:

" خذ، هذه بطاقة عمل شركة أبي، ينتظرك شخصيًّا غدا على الثّامنة في مكتبه، لا تقلق، ستجد من يرافقك".

أخذها من يدي و قبل أن ينطق بكلمة وقفت و هممت بالخروج سريعا حتّى لا يسألني، كلّ البنات رافقنني إلى الباب داعيات لي بالخير، هاته المرّة ابتسمت لي تلك الصّغيرة و قالت:

" أنت جميلة، لكن أرجوكِ لا تسرقي منّا أخي".

يصمت الجميع، توتّرت، و مع الخطوة الموالية كدت أسقط، لولا أن أمسكتني إحدى أخواته لكنت في تلك اللّحظة على الأرض، ضحكن جميعا و أنا معهنّ غير أنّ ضحكتي كانت مُفتعلة، قبل خروجي نظرت فيهنّ و قلت:

" بارك الله فيكم على حسن الضّيافة، فعلا أنتم طيّبون".

لمحت خلف البنات أمّه المسكينة و قد عانت للوصول إلى الباب:

" عودي و زورينا يا ابنتي في أيّ وقت تريدين، فهذا بيتك و نحن أهلك".

لم أشعر في حياتي بسعادة مماثلة، يا لها من كلمات طيّبة من إنسان يفيض حنانا و عطفا، لم أتمالك نفسي و قفزت عليها أقبّلها على رأسها و وجنتيْها:

" حماكِ الله و رعاك يا أمّاه".

بعد توديعي لهنّ رأيت في "وحيد"، كان خلفهنّ، لم يشأ أن يتقدّم فقد منعه الخجل من ذلك، أشرت إليه بيدي فابتسم و ردّ الإشارة بالمثل، سُررت لذلك أشدّ السّرور و قلت في نفسي:

" لست فاشلا، أنت تستحقّ".

خرجت و الفرحة تغمرني، ما أروع هاته التّجربة، شعرت و كأنّي فرد من عائلة "وحيد"، كيف سيكون لقاؤه مع أبي في الغد ؟، اللّهم ألهمني الصّبر يا ربّ.

الفصل السّادس عشر: توفيق –مدير شركة "الغد"-

أتى هذا الشّاب و دخل مكتبي، لو لم تكلّمني عنه ابنتي لما تركته يقترب من باب الشّركة، فقط إكراما لها و نزولا عند رغبتها قابلته، إلحاحها الشّديد و تأكيدها على أنّه الرّجل المناسب دفعاني مرغما إلى تغيير جدول أعمالي و تخصيص ربع ساعة له، كان من الجدير أن أترك المسؤول عن التّوظيف يقوم بكلّ شيء، فانشغالاتي كثيرة و أنا مرتبط بمواعيد مضبوطة، لكنّي استسلمت تحت الضغط الذي مارسته عليّ ابنتي بطلبها المتكرّر و ثمّ رجائها الملحّ بمقابلته شخصيًّا و التحدّث إليه، وافقت، ما باليد حيلة.

هو الآن قبالتي، لا يبدو مظهره كالآخرين، بسيط لكنّه أنيق، نظيف و مرتّب، حركاته منتظمة، هادئة، لا يبدو عليه التوتّر من لقاء الرّجل الأوّل في الشّركة، دائما مع ابتسامة على الوجه، طرح الأسئلة الرّوتينيّة التي تُكون في كلّ مقابلة يدفع للملل، لم أشأ أن يكون الأمر سيّان اليوم، فلربّما جهّز هذا الشّاب كلّ الأجوبة لكلّ الأسئلة المحتملة، فيكون الأمر شبه آليّ في الأخذ و الردّ، فانطلقت أسأله هكذا:

" إمكانيّاتك بحسب ملفّك عالية، رغم أنّي لم أتفحّصه بالكامل و تركت ذلك للمشرف عن التّوظيف في الشركة إلاّ أنّ ماستر إدارة أعمال شهادة يمكنك الافتخار بها، لكن و كما تعلم، الوثائق ليست الواقع، و أكثر ما نحتاجه منك في هاته المؤسّسة قدرتك على التأقلم بحسب الظّروف و المستجدّات، بالطبع العمل باجتهاد و إتقان و احترام الوقت مهما كلّف الأمر، شهادتك لا تعبّر عن إمكانيّاتك الفعلية يا بنيّ فهل أنت مساعدّ حقًّا لتخوض غمار ...".

لم يتركني أكمل كلامي فقاطعني قائلا:

" مستعدّ سيّدي، جرّبني و سأكون عند حسن ظنّك بإذن الله".

يبدو واثقا، ربّما أكثر من اللاّزم ...

" حسنا، حسنا، هذا ما أسمّيه اندفاعا شبابيًّا، الحقيقة غير ذلك".

" الحقيقة يا سيّدي نحن نصنعها، كلّ يرى الحقيقة بمنظوره الخاص لهاته الحياة، فما يهمّني أنا هو العمل و الاجتهاد، أن أجعل من وثق بي و أعطاني الفرصة يفخر بي و بما أنجز، سأقدّم أفضل ما لديّ لهاته الشّركة، تلك هي حقيقتي، و التي سأصنعها بإذن الله، و لكم أن تجرّبوني سيّدي".

اللّعنة، استطاع أن يهزّ شيئا في نفسي هذا الغرّ، له منطق سويّ و لغة قويّة ترغمك على تصديق ما يقول، لكن ليس بعد، فكثير من المخادعين يلوون القول لتحسبهم الأجدر برتبة و عمل و ما هم بذلك ...

" قل لي، بحسب رأيك، ما هو المنصب الذي يلائمك في الشّركة ؟ ".

لم يُطل التّفكير و أجابني بسرعة:

" الملفّ عندكم سيّدي، منصبي في شركتكم إن كان، فسيكون بحسب ما تُؤهّلني إمكانيّاتي العملية المُكتسبة من قبل".

إجابة ذكيّة، لم ينس ما قلت له، الشّهادات لا تعكس المستوى الحقيقي لصاحبها و إنّما الميدان يكشف ذلك.

" ألم تعدك ابنتي بأي منصب في الشّركة ؟".

هذه المرّة أطال، لكنّه بقي ينظر في عينيّ، و كأنّه يبحث عن الإجابة الأليق ...

" لم تعدني، و إنّما زفّت ليَ الخبر مباشرة".

" و ما الذي زفّته ؟".

" كوني سأكون سكرتيرك".

" و ما رأيك ؟ أيمكنك أن تكون كذلك ؟".

طرحت عليه هذا السّؤال و بنظرة استفزازيّة انتظرت الإجابة.

" كلاّ، لا يمكنني".

دُهشت لردّه، بقيت مستغربًا حتّى أكمل و قال:

" لا يمكن أن أحصر أحلامي و آمالي في منصب سكرتير، و لا في غيره من المناصب سواء أكانت أعلى أو أدنى، و إلاّ، فلن أكون إنسانا".

لم أفهم جيّدا ما قصده:

" وضّح فكرتك".

" بكلّ بساطة يا سيّدي : الإنسان الحقيقيّ لا يكتفي بما يُعطى له، بل بما يصنعه هو بحسب إرادته، و كذلك بحسب الظّروف، و أنا إرادتي بقدر أحلامي و بقدر ما قدّمته ليَ الحياة".

" و ما مدى أحلامك ؟".

" ليس لها مدى".

هاته بالذّات أعجزتني، لم أكن أنتظر كلّ ذلك من شاب ظننته كغيره من المتملّقين الذين يُسمعونك ما تريد سماعه، الآن أقنعني بحقّ، و كلّ ما قاله صحيح، أُدرك جيّدا الفرق بين الصّادق و الكاذب، سنوات التجربة كلّها على رأي واحد: هذا هو المطلوب.

لي خمس شركات، فيها أزيد من تسعمائة موظّف، و لا زلت أبحث عن أمثال هذا الولد، أريد أن تعيش بيننا أرواح طاغية كروحه، متمرّدة عنيدة، لا تقبل بالقليل و تشدو الكثير، ترى المستقبل بعين الحاضر، و تتربّع على عرش إنجازاتها بما تقدّمه طواعية، هذا الذي أريد، هذا الذي أبحث عنه.

مرّت نصف ساعة بسرعة دون أن ألحظ، الكلام مع هذا الشّاب لا يخالجه ملل، أعجبني بالفعل، كانت "ملاك" محقّة بشأنه، لم يبق سوى أن يرينا ما يستطيعه في الواقع.

" حصلت على المنصب".

" سيّدي ؟".

" أنت منذ غد، سكرتيري الخاص في فترة تربّص محدود، مبروك يا سيّد "ناجي وحيد" ".

طأطأ رأسه في تلك اللّحظة و بقي كذلك، رفعه مرّة أخرى و إذا بالدّموع على وجنتيه، من الفرحة تغيّرت ملامح وجهه بالكامل، بات يشبه الطّفل الباكي.

" مشكور سيّدي، مشكور".

" لا تشكرني، فما هو غير شهر أجرّبك فيه، إن أفلحت أكملت، فكن مستعدًّا".

حيّاني و خرج، أمّا أنا فأخذت حقيبتي على عجل و تركت المكتب، موعد مهمّ تأخّرت عنه، غير أنّني لم أندم.

أنا "مكارم توفيق"، سبعة و خمسون سنة، من أشهر رجال الأعمال في هذا البلد، مهمّتي أن أجعل النّاس تحقّق أحلامها بالفعل، أن لا تحلم فقط، أنا هنا من أجل الحقيقة التي يبحث عنها كلّ واحد فينا، أنا هنا لأقدّم الفرصة، ليقدّم الآخرون فيما بعد الأفضل.

الفصل السّابع عشر: العودة

عاد من جديد و في شركة أخرى، بعد فقدان الأمل و اسوداد الدّنيا في وجه "وحيد"، عاد نعم، الفضل لله أوّلا، ثمّ لزميلته التي قدّمته لأبيها، فما كان عليه سوى اقتناص الفرصة و إظهار أفضل ما لديه، بعد شهر من التّربّص، نجح الشّاب و بامتياز في عمله، كسب ثقة المدير و الزّملاء أيضا، تعلّم أمورًا خفيت عنه لمدة، أمور من صلب شروط البقاء و الاستمرار:

ثق بالله أولا، بقدراتك و إمكانيّاتك، ثمّ بأقرب الزّملاء و اجعل عددهم قليلا، لا تظهر من البراعة أكثر مما طُلب منك، فهناك الحسّاد الماكرون، من يتخفّون برداء الأصدقاء الطيّبين و هم ألدّ الخصام، الكتمان و السريّة في المشاريع ذات الأهميّة الكبيرة، العمل و الاجتهاد، احترام الوقت و عدم التدخّل في شؤون الآخرين، عدم التكلّم في المواضيع الجانبيّة و الأمور الشّخصيّة حتّى لا تُثار مشاكل بين الموظّفين.

و أهمّ أمر، إن حدث مشكل فباب مدير الشّركة مفتوح.

كلّ هاته القواعد، و هاته التّعليمات جعلت من "وحيد" إنسانا حرًّا في عمله، مُبدعا فيما يقدّم، لم يكن يوما يحلم بمثل هذا المنصب المشارف للقمّة، ربّما رئيس مكتب أو رئيس فرع خاص، لكن أن توضع فيه الثقة ليكون سكرتيرا، السّاعد الأيمن للمدير العام و ثمّ يلقى التأييد و التّرحيب، هذا الذي لم يتخيّله و لم ينتظره.

تحوّلت حياة الشّاب إلى الأفضل، لأنه الآن محاط بأسرة، بأناس يريدون الخير لبعضهم، عكس ما عاشه و خبره فيما مضى، كذلك فضل المدير عليه كبير، فعلى علمه التّام بالقضيّة التي ورّطت "وحيدا" في فضيحة أخلاقيّة كاذبة، لم يتسرّع و لم يرفضه، فقد قام فور تكلّم ابنته في موضوع توظيفه بتحقيق خاص كلّف به أعوانا محترفين يثق فيهم، و قد أسفرت نتيجة التّحقيق العميق عن كشف الخدعة، لم يقتنع ببراءة الشّاب حتّى أتاه الخبر اليقين، لم يسمع ذلك من ابنته التي أخفت الأمر، و لا من "وحيد" الذي آثر أن يطوي صفحة الماضي نهائيًّا، بل بحث بنفسه فوجد ما يريد.

كلّكم راعٍ، و كلّ راعٍ مسؤول عن رعيّته.

تحسّنت الظّروف الاجتماعية للشّاب في شركة "الغد"، فبعد مرور سنة، تزوّجت أختاه، و غيّر المسكن إلى آخر أفضل، أرسل أمّه إلى العمرة، و بدأ بوضع أنصبة من المال جانبا، في الجانب الآخر، بقيت "ملاك" في شركة "برو وورك"، و آثرت أن تقاوم كلّ الظّروف و الصّعاب حتّى انتهاء فترة تربّصها هناك، دائما كتومة و دون أن يشعر بحقيقتها أحد، تشقّ طريقها المحفوف بالمخاطر إلى المحطّة الأخيرة.

ساءت الظروف كثيرا في الشركة منذ طرد "وحيد"، و ذلك بسب الاختلاسات المالية و المشاكل الدّاخليّة، الفضائح من كلّ نوع، الدّيون الكثيرة، و كذلك نقص الثّقة بين مدير الشركة و المتعاملين الآخرين داخل و خارج الوطن، تمرّ "برو وورك" بأزمة حقيقيّة تكاد تودي بها إلى الهلاك.

انفلت الزّمام من يد "القبطان" ففكّر بحلّ قبل إعلان الإفلاس...

و مع الوقت وجده...

الحلّ سيكلّفه ما لم يكن في الحسبان...

ما باليد حيلة، فإمّا هذا و إمّا الزّوال.

الفصل الثّامن عشر: فهيم

صحيح أنا كاذب، لكن لأوّل مرّة أقول الصّدق، لم يبق الكثير حتّى تعلن الشّركة إفلاسها.

تغيّرت الأمور كثيرا مؤخّرًا، لم يعد باستطاعتنا اغتنام الفرص و اختلاس نسبٍ من الأرباح كما كنّا نفعل، أصابنا تقشّف حاد سببه كثرة الفوضى و الخلافات، التّهم الكثيرة الموجّهة للإدارة في سوء تسييرها للمداخيل و المصاريف، دون نسيان الخلافات الحادّة بين الموظّفين، استقالات بالجملة و تدهور حادّ، انخفاض مردود المبيعات في الشركة زاد الطّين بلّة، يبدو أنّ مقولة "المدير الذي يتحكّم في كلّ شيء و العارف بكلّ أمر" لا أساس لها من الصحّة.

لا أحد يستطيع التحكّم في فوضى كمثل التي نعيشها الآن، خصوصا و قد تطوّر الأمر و صار فسادا في كلّ فرع، الكلّ يبحث عن المال، المزيد منه بأيّ طريقة، و لو على حساب الآخرين، كما حدث مع ذاك الشّاب الذي لفّقنا له التّهمة، من كان أقلّ حيلة كان أقلّ حظًّا في البقاء، و من عمل بنيّته كان مصيره الباب ...

كلّ شيء كان على ما يرام، نجتمع، نخطّط، ننفّذ ثمّ نلقي بمن نشاء خارجا لنبقى نحن الأسياد، من يتحكّم في الأمور، لكن زاد جشع بعضهم و انقسمنا، و صار أحدنا يريد الآخر، يروم النّيل منه ليبعده عن الطّريق، فالمنافسة باتت شرسة و الغنائم قليلة و لا تكفي الجميع، القويّ يأكل الضّعيف و ذاك قانون الغاب.

أنا كذّاب صحيح، أعتمد الكذب في النّميمة و الغيبة، في نقل الأخبار الخاطئة لإشعال نار الكره و البغض، أكذب لأعتليَ المناصب، لأقترب أكثر من القمّة، لا يهمّني الآن لا "كريم" و لا غيره، كلّنا اليوم أعداء، و البقاء للأقوى.

وجدت حلاّ لمشكلتي، أنا كمتصرّف لا يكفيني الدخل الذي أتقاضاه مع تزايد جشعي و طمعي، فقرّرت أن أفكّر في خطّة تمكّنني من أخذ أكبر قدر من المال و أخرج، أستقيل أو حتّى أهرب، المهمّ أن أختفي، محال أن أترك هذه الثّعالب تأخذ الثّروة و تنجو بجلدها و

كأنّ شيئا لم يكن، و إن حدث ذلك و لم أفلح سأبلغ عنهم الشّرطة فبيدي الدّلائل البيّنة على تورّطهم في قضايا فساد لا تعدّ و لا تُحصى.

أكذب، لكن لهدف معيّن، لشيء أريده، من هم في طينتي يُسمّون "محترفي أعمال"، فليفهموها كما شاؤوا، و من يروم تقصّي المعنى الحقيقيّ لما قلت فليعُد إلى واقعه العفن و لينظر، سيجد جوابه.

أنا فاسد، و لا أرجو توبة من فسادي كون ما أتعاطاه الآن هو أكبر و أصعب من أن أفارقه أو أبتعد عنه، المال هو روحي و كلّ حياتي، و من جادلني فيه أقيم عليه الحرب، هكذا أنا و سأبقى إلى آخر لحظة في حياتي فلا داع للدّهشة، هناك منّا الكثير، أكثر ممّا يُتوقّع، نحن في كلّ مكان، و في كلّ زمان.

الفصل التّاسع عشر: ملاك 5

الحمد لله الذي تتمّ بنعمته الصّالحات، ها قد مرت سنة و "وحيد" سكرتير أبي في إحدى أهمّ شركاته، بحسب المعلومات القليلة التي استطعت أخذها من الحوارات الكثيرة بيننا أنا و أبي، "وحيد" يقوم بعمل ممتاز، اجتهاده الدّائم مكّنه من تعلّم أمور كثيرة، وقد ساعده ذكاؤه المتّقد في تجاوز صعوبات و عراقيل لم يستطع تخطّيها من هم أكثر خبرة منه في الميدان.

سعيدة لأجله، أخيرا يمكنني أن أفخر و أقول أنّي كنت نافعة لأحدهم، و لو لمرّة واحدة.

لا خوف على من عمل في إحدى شركات أبي، فالتّسيير فيها يعتمد على مختصّين في المجال تمّ اختيارهم بعناية، لهذا هي دائمة الازدهار، عكس ما يحصل الآن هنا، في هذه الشّركة الملعونة، تدهورت الأمور و صارت إلى عشوائيّة، كلّهم سواء، لا أحد يفكّر في كيفيّة لإنقاذ الشّركة من إفلاس محتوم، حتّى مديرها لا يبدو مهتمًّا للأمر، سبحان الله.

لو أخذوا مشروع "وحيد" و بدؤوا في تطبيقه لربّما رأوْا النّور في آخر هذا النّفق المظلم، لكنّهم آثروا طرد الرّجل المناسب ليتركوا المجال لمن ليس لهم علاقة بالعمل و الجديّة.

لن يطول بقائي هنا، فمدّة تربّصي تكاد تنتهي، تعلّمت الكثير من الأشياء، هكذا لكي أكون منصفة في حكمي، و أكثر ما تعلّمته هو الاعتماد على النّفاق و الخداع في إنجاز المهام: كيف تكون محتالا، خسيسا، حثالة مال و خائنا، تعلّمت أنّ هذا العالم لا يرحم، عالم طبقيّ جميل الصّورة، باطنه مظلم أسود.

يقال أنّ هناك خطّة لإنقاذ الشّركة، فور سماعي لهذه النّكتة ضحكت، لكي تنقذ شركة بأكملها من الضّياع عليك صبّ مبلغ خياليّ من المال في خزينتها، و صرفه بشكل عقلانيّ و ذكيّ حتى تنقذ ما يمكن إنقاذه، ثمّ تفكّر بطريقة تردّ بها الديون المأخوذة في وقتها المحدّد، و هذا الذي لن يكون أبدا و هؤلاء يصولون و يجولون فيها، لن يكون مثل هذا الأمر و عصابة مثل هذه حرّة طليقة، أنا أقول: لن تقوم لـ " برو وورك" قائمة حتّى يخرج منها كلّ الأخباث انطلاقا من الحارس إلى المدير العام ... إلاّ من رحم ربّي.

الفصل العشرون: وحيد 4

إنّ الله يمهل و لا يهمل.

كانت جدّتي رحمها الله تقول لي :" صاحب النيّة الصّافية دائما يفوز في الأخير"، صدق قولها سبحان الله، ها أنا الآن سكرتير مدير لأشهر شركة في برمجيّات الحاسوب: شركة "الغد"، من الذي قال أنّي سأكون يوما في مثل هذا المنصب، في الحقيقة كان هدفي الأسمى أن أصير رئيس مكتب في أيّ مجال من مجالات إدارة الأعمال، و قد تجاوز واقعي الآن حلم البارحة، كذلك لأتيقّن أنّ الدّنيا دنيا مفاجآت، علم الله أكبر من علمنا نحن الضّعفاء المستعجلون.

في اللّغة العربية يطلق المضاد على كلمة تبحث عنها أو تجدها تكون عكس التي بين يديك في مدلولها، كذلك هاته الشّركة التي أعمل فيها الآن، هي مضاد السّابقة، وجدت فيها العون و التّشجيع من أوّل يوم، لم أواجه معارضة أو استغرابا، لم أجد حسدا و لا كرها، كنت الأقلّ تجربة و لازلت، و رغم ذلك ألقى الاحترام و التّقدير ممن هم أكثر منّي تجربة و هم في مناصب أدنى في الشّركة.

نعم، وصلت بطريقة لم أنتظرها إلى منصب سكرتير، لكن لو لم أكن جديرا لما وصلت، فسياسة الشّركة واضحة: كلّ يأخذ ما يستحقّ بكفاءاته فقط.

أنا مسرور، سعيد بما قدّرني الله أن أصل إليه، الحمد لله ربّ العالمين.

حياتي كلّها تغيّرت بفضل الله أوّلا و تدخّل الآنسة "مكارم ملاك" في الوقت المناسب، فلولاها لكنت الآن في الشّارع.

يقال أنّ شركة " برو وورك" تواجه مشاكل مالية حادّة ربّما تُؤدي بها إلى الإفلاس و من ثمّ تسريح موظّفيها، هكذا يقال، أمّا أنا فأقول: "هذه دعواتي و دعوات كلّ مظلوم استجاب لها الله، فأغرق سفينة المفسدين بمن عليها في بحر العدالة الإلهيّة".

أنتظر بشوق نهاية الطّغاة كيف ستكون، "كريم"، "جابر"، "فهيم"، "ربيع"، "نعيمة"، المدير و نائبه، و غيرهم كثير، أتحرّق لأعرف كيف سينتهي أمرهم.

الفصل الواحد وعشرون: مالِك 2

لم أجد حلاّ آخر غير هذا ... لم أجد غيره.

كلّ ما وفّرته من إمكانيّات و أعوان لم يكن كافيًا لجعل هؤلاء العبيد تُبَّعا كما اعتقدت، الأعين التي نشرتها بين الموظفين تمّ شراؤها بالمال، لا أدري من تفطّن لذلك لكنّه قدّم عرضا أفضل من عرضي و قام بشراء صمتهم بالتّأكيد، مصدر المعلومات المؤكّد لم يعد في الخدمة، قد مالوا مع المال، لا مجال للشكّ، خانوني دون أن أعرف الرّأس المدبّر،بتُّ وحيدا لا أدري كيف أخرج من الورطة التي وقعت فيها.

الشّركة تفقد مصداقيّتها، العديد من المتعاملين و الشّركاء انسحبوا بسبب الفضائح المتكرّرة، لم أستطع التحكّم في كلّ هاته المشاكل، رغم التّجربة الطّويلة في المجال إلاّ أنّ الفساد كان أكبر من كلّ محاولة تعديل، "اتّسع الخرق على الرّاقع" كما يقال، ففكّرت بوسيلة تنجيني و تنجي من بقي في هاته الشّركة قبل أن أبدأ عمليّة تصفية شاملة لكلّ فاسد جشع.

نظرا للحالة المزرية التي وصلنا إليها، عرضت على شركات كبرى بيع ستّين بالمائة من أسهمها، جعلت العرض مغريًا حتّى يُقبل فورا و دون شروط، لم أجد حلاًّ، فالكلّ رفض التّعامل معنا بنسبة أرباح أقلّ، علّه يكون المخرج رغم الخسارة.

ما يهمّني الآن هو الاحتفاظ بالشّركة في إطار التّعاون الثّنائي و لو أنّ حصّتي ضئيلة، يبدو أنّي أخطأت في كيفيّة تسييري للأمور، و حسبت حسابًا ناقصا، وضعت خططا لا تسمن و لا تغني من جوع، لم يكن لما قمت به نتيجة ملموسة، أظنّني فشلت ...

أشعر كمن يشعر بالخيانة من أقرب الأقربين ...

خدعوني ...

لكن لن أترك لهؤلاء الضّباع فرصة أخرى ...

أقسم.

الفصل الثّاني وعشرون: توفيق 2

" برو وورك" للبيع ...

من كان يتخيّل أنّ هاته الشّركة الكبيرة ستلمس القاع بعد أيّام معدودات، اليوم تأكّدت من أمر مهمّ، هو أنّه لولا التّسيير الكارثيّ و كثرة الفساد و المفسدين في الشّركة لما تحتّم عليهم وضع أسهمها للبيع، و مع السّمعة السيّئة التي تتميّز بها لن يتقدّم الكثيرون لشراء الأسهم و لو بلغ حقّ التملّك ستّين بالمائة، الشّراكة هنا طريق محفوف بشوك الفساد، فمن يقبل بضمّ شركة كهذه إلى شركته ؟

حتّى بضمانات، بتسهيلات، بحوافز، لا أظنّ أنّ أحدا سيخاطر بتوحيد مثل هذا و شركة "برو وورك" على حافّة الإفلاس.

هذا قول إنسان يستنتج العواقب دون كثير تفكير، و ما هو في الواقع لا يحتاج إلى دراسة كبيرة بحسب رأي أيّ مفكّر، الابتعاد عن مثل هاته الصّفقات و البحث عن غيرها هو الرّأي الأسلم، الأضمن، الأكثر منطقيّة، لكن ما أراه أنا لا يراه معظمهم، و ما أبحث عنه لا يرومه أناس عاديّون.

الفشل النّاتج عن سوء التّسيير سببه الأوّل السّوء في اختيار الرّجل المناسب، حتّى و لو توفّرت أموال و إمكانيّات ضخمة، مع طاقة بشريّة غير كافية، عاجزة، أو فاسدة سيكون مآل كلّ مشروع إلى خُسران.

الاستثمار في الروح، في الإنسان، في الطّاقة الإيجابيّة فيه، هو ما يجعل كلّ مشروع ناجح، أمّا بقيّة الأمور فتتبع ما كان صالحا بشكل آليّ، ليعمّ الصّلاح في المنتِج و ما أنتجه.

سأشتري أسهم هاته الشّركة و أضمّها إلى "الغدّ"، ستّون بالمائة لنا، سأضيف شروطا أخرى، سأجعل أكبر عدد من موظّفيّ يقودون هاته الشّركة إلى التّعافي من الأمراض التي أصابتها، سأضغط على السيّد "صفوان مالِك" حتّى يقبل بشروطي و سيقبل فلا مفرّ.

ساورتني فكرة اللّحظة، فكرة مجنونة، سأقوم بأمر لم يجرؤ عليه أحد، فيه مخاطرة، سيظنّ البعض أنّه تسرّع منّي، غير أنّ الأمناء يفوزون بالثّقة رغم الشكّ، و يستحقّون فرصًا كهاته بالتّأكيد.

أتعلمون عمنّ أتحدّث ؟

نعم هو...

الفصل الثّالث وعشرون: الاجتماع

اجتماع استثنائيّ، عاجل، استغرب منه العديد من موظّفي شركة "الغدّ"، ما الذي يريده المدير العام ؟ و ما هو الدّاعي لكلّ هذا الاستعجال ؟

في قاعة الاجتماعات يحضر أعضاء مجلس الإدارة، مسؤولو الإنتاج و التّسويق و كذلك المكلّفون بالتّخطيط و بعض المهندسين، بالطّبع مع حضور نائب المدير و المدير العام بنفسه، عن يمين هذا الأخير "وحيد"، اكتمل العدد و انطلق السيّد "توفيق" فاتحًا الجلسة:

" أوّلا السلام عليكم، لابدّ و أنّ الجميع هنا يتساءل عن سبب هذا الاجتماع الطّارئ، بالطّبع لو لم يكن مهمًّا لما استدعيتكم بشكل مفاجئ، ما سأقوله الآن تبلغونه لموظّفي الشّركة كلّ بحسب فرعه و الموظّفين الذين هم تحت مسؤوليّته، ليكن في علمكم أنّ شركتنا ستتوسّع عن قريب، فقد قرّرت شراء أسهم شركة أخرى على مشارف الإفلاس في إطار الإدماج المؤسّساتي عن تراض بين الطّرفين".

اندهش الجميع لهذا الخبر، و سؤالهم جميعا كان واحدا: لماذا هذا القرار الآن ؟

" التقيت منذ يومين برئيس شركة " برو وورك" و اتفقنا على إدماج شركته بشركتنا هذه ... بشروط طبعا".

انفرد أحدهم بدهشته، إنه "وحيد"الذي لم يكن ينتظر أن تكون الشّركة التي ستنظمّ هي نفسها التي طُرد منها ظلما و عدوانا ...

" الشّروط هي كالتّالي: البقاء على اسم شركتنا، شركة "الغدّ" كاسم رسميّ جديد، حصّتنا من الأسهم تبلغ ستّين بالمائة، سيُدمج ما نسبته سبعون بالمائة من الموظّفين من هاته الشّركة في المناصب المُستحدثة للشّركة الجديدة، و ذلك تغطيةً لنقص الموارد البشريّة إثر موجة الاستقالات و التّسريحات التي قام بها المدير العام لـ "برو وورك"، سنعتمد على قوائم الاحتياط في توظيف الكفاءات، و الأهمّ من ذلك كلّه، مجلس الإدارة، ثمانون بالمائة من كفاءاتنا نحن، ما رأيكم ؟".

بلغ الذّهول ذروته، لم يصدّقوا ما سمعوه توًّا، تلك غنيمة على صينيّة من ذهب اقتنصها المدير اقتناصا.

" صحيح أنّي أخذت مبادرة شخصيّة دون الرّجوع إلى أعضاء مجلس الإدارة، و ما ذلك إلا خوفا من ضياع الفرصة و ربحًا للوقت، و ليس أبدًا تجاوزًا لصلاحيّاتكم أو تقليلا من احترامكم، فإن كنتم رافضين للفكرة فلن يكون ما ذكرت و سأنزل عند رأيكم بإذن الله، فماذا تقولون ؟".

بعد ثوانٍ قليلة تقرأ في وجوه الحاضرين فرحةً كبيرة، يقف الجميع مُصفِّقين للخبر الذي سمعوه، تتعالى في القاعة هتافات كالتّي في الملاعب:

" الفوز لنا ... الفوز لنا ... نحن الأفضل ... يحيا "الغدّ" ... يحيا "الغدّ" ".

بقي "وحيد" جالسا في مكانه غير مصدّق لما يسمع، كالصّنم جامد في مكانه، لاحظ الجميع ذلك و أوّلهم المدير العام، فقاطع الهتافات العالية بصوت أعلى:

" هدوء من فضلكم، اجلسوا الآن فلم أكمل بعد".

يجلس الحاضرون و ينتظرون بشوق الآتي.

" تمّ الاتفاق على كلّ ما ذكرت شفهيًّا، في لقاء خاص و سريّ بيني و بين السيّد "صفوان مالِك" صاحب الشّركة المقصودة، هو على مشارف الإفلاس و لم يجد بدًّا من الخضوع لشروطي، سيتم ترسيم كلّ شيء كتابيًّا بعقد أمضيه في مقرّ شركة "برو وورك"، سأختار من لجنة الإدارة ممثّلَيْن اثنين، سيرافقني السيّد "ناجي" طبعا، بصفته مساعدي الأيمن، سنأتيكم بالخبر اليقين الأسبوع المقبل بإذن الله".

يصفّق الجميع تصفيقا آخر حارًّا، لم يتوقّفوا من الفرحة، أمّا "وحيد" فكأنّما أصابه الشّلل، لم ينطق بكلمة، و لم يحرّك ساكنا ...

" في الأخير سنقوم بتصويت لنحدّد من سيكون ...".

فور سماع الحاضرين ما قاله المدير العام توقّفوا عن التّصفيق، و ظهرت عليهم ملامح القلق و الحيرة.

" أنا أرشّح السيّد "ناجي" لأن يضطلع بهذه المهمّة، على فكرة، لن أترشّح للمنصب المذكور، فمن يريد منكم أن يتقدّم له ذلك".

بلغت الدّهشة ذروتها، لم يستطع "وحيد" تحمّل المزيد، لم يصدّق ما سمعه، فوقف معارضا و قال:

" لكن سيّدي هذا كثير، لا أملك الخبرة و التّجربة لأن أكون ...".

قاطعه المدير:

" اجلس، فقد رشّحتك و انتهى، على كلّ حال القرار الأخير يكون بالتّصويت، فإن لم تتّفق الجماعة الحاضرة على رأي واحد يؤهّلك للظّفر بهذا المنصب فلن يكون ".

لم يدرك "وحيد" أنّ ما يعيشه في هاته اللّحظات ليس مجرّد خيال، بل حقيقة الواقع.

" سيّدي أرجوك ...".

" قلت لك اجلس و دعنا نرى من سينافسك".

يجلس "وحيد" في هدوء و يترقّب ماذا سيحصل بعد لحظات.

في الأخير تجرّأ عضو واحد من الإدارة، في تلك الدّقائق الحاسمة ساد صمت غريب، صمت مهول، صمت التفكير العميق، هو صمت الاختيار، تسمع فيه صوت تدفّق الدّماء في العروق، صوت انزلاق قطرات العرق على الجُبُن، صوت الأنفاس المحتارة ...

لحظة الحسم، يأمر المدير برفع الأيادي لمن يرشّح عضو الإدارة لينال المنصب المقترح، ومن أصل عشرين، تحصّل على تسعة أصوات مع صوته، البقيّة بين ممتنع و معارض، حان دور "وحيد"، يشعر الشّاب بالقلق و التوتّر، تُرفع الأيادي، و يد المدير معهم، إنّها عشرة أصوات مُؤيّدة، و صوت واحد ممتنع.

نعم، لقد فاز "وحيد" بالمنصب.

الجميع ينظر في الشّاب، ترتسم على أوجههم بسمات مشرقة، يقبلون بنتيجة التّصويت دون اعتراض، يقف الجميع و يصفّقون، لكن هاته المرّة لـ"وحيد" الذي بات غير وحيد.

خانت الكلمات صاحبنا، و بقيَ يحاور نفسه مرتبكا:

" يا إلهي كيف رمت بي أمواج القدر إلى هذا الشّاطئ ؟".

يقطع المدير حبل تفكيره قائلا:

" رُفعت الجلسة".

الفصل الرّابع وعشرون: وحيد 5

لا أصدّق أنّي الآن ...

لم أكن أتخيّل ذلك، كيف صار الأمر هكذا بهذه السّرعة.

هذا المنصب الذي كُلفت به، سأتحمّله و أقابل به من كانوا أعداء الماضي، أحقًّا سأكون في مستوى تطلّعات الكلّ بي ؟ أخاف أن أخون ثقة من وثقوا بي بنقص حيلتي و قلّة خبرتي، ماذا لو فشلت ؟ ماذا لو أخطأت ؟

وقف الجميع معي اليوم، حتّى من كان منافسي على المنصب الذي لم أختره، بصدر رحب قبلوني، شجّعوني، أسمعوني كلمات طيّبة عوّضت ما تلقّفته في الماضي من تجريح، فـ "الحثالة"، "اللّقيط"، "الفاشل"، "اللّعين" صارت: "البطل"، "الفارس"، "القائد"، "النّجم" ... من أجل هذا فقط، سأقدّم كلّ ما لديّ بحول الله، و لو أنّي غير متأكّد بعد من قدرتي على الاضطلاع بما وكّلوني به و بمهمّة كبيرة كالتي كلّفني بها المدير.

في يدي أسبوع، أسبوع لكي أتغيّر، أريد ذلك و أثق بنفسي، سيكون "مدرّبي" المدير في حدّ ذاته، أكّد لي أنّه سيغيّرني إلى الأفضل، كلماته تلك أعادت ليَ الثّقة:

" اسمع يا "وحيد"، الكلّ يتغيّر، جميعنا قابلون للتّغيير، غير أنّ هناك سبيلان له لا ثالث لهما: الصّحيح و الخاطئ، الأوّل نهايته فوز و الثّاني نهايته خسارة، أنت و ما شئت، فاختر طريقك ثمّ احذر أن تندم، لأنّه اختيارك فحسب".

لأوّل مرّة يناديني باسمي، أحسست حينها أنّه أبي، و كأنّه أبي الذي فقدته منذ أمد أسمعه الآن، كم كانت كلماته دافئة، بل حارّة حرارة المشاعر التي غرسها في نفسي، في هاته السّنة التّي أمضيتها بجواره علّمني أشياءً كثيرة، جعلني أشعر بالشوق لما يأتي لا بالخوف من المجهول، جعلني أحبّ ما أقوم به حقيقة الحب، جعلني ألوم نفسي أنا فقط حينما أخطئ و لا ألقي اللّوم على الآخرين أو على البلد هذا كما كنت أفعل، جعلني إنسانًا بحقّ.

مع ذلك لازلت مرتبكا متوتّرا غير متأكّد من نفسي، أيكفيني أسبوع ؟

لا بأس ... أسبوع آخر و سنرى ...

كيف سأبلي يا ترى ؟

الفصل الخامس وعشرون: ملاك 6

أن يصل أحدهم إلى هذا المنصب ليس بالأمر السّهل، بل يكاد يكون مستحيلا، لكنّه فعلها، و لو جرت الأمور فجأة و دون انتظار، إلاّ أنّها نتيجة اجتهاد و صبر، من زرع حصد بحقّ.

لم يعد يدهشني أمر ترقيته في المناصب، لأنه أهل لذلك، و لو لم يكن يستحقّ لما وصل.

سيأتي رفقة أبي و بعض أعضاء الإدارة لإمضاء عقد دمج " برو وورك" في شركة "الغد" نهاية هذا الأسبوع، فرحت فرحا لا يوصف، أخيرا سنرى النّور بعد سوء تسيير و فساد في كلّ ركن من أركان هاته الشّركة.

حاليًّا، يدرّب أبي "وحيد" على أمور أجهلها، سألته مِرارًا عمّا يفعله مع الشّاب فلا يردّ، و هذه أوّل مرّة يخفي فيها أبي أمورا عنّي، بل ما زاد دهشتي و حيرتي أنّه صار يدعوه إلى البيت و يبقى معه السّاعات الطّوال حتى المغرب، و ربّما زاد حتّى العِشاء، أمر يدعو للتساؤل، ماذا يفعلان مع بعض في هذا الوقت كلّه و لثلاثة أيّام متتالية ؟

صرت أتفادى ملاقاته في بيتنا، أسرع إلى غرفتي بعد أن أسترق السّمع من خلف الجدار، فمرّة أسمع أبي يقول:

" هكذا يكون الأمر، عليك أن تكون حازمًا و أن تتفادى الاحتكاك الطّويل مع هؤلاء".

فيردّ "وحيد":

" حسنًا سيّدي، مفهوم".

و مرّة سمعت "وحيدا" يسأل أبي:

" كيف أتجاوز هذا ؟ و هل هو الوقت المناسب لذلك ؟".

فيردّ أبي:

" نعم، الوقت دائما مناسب لقلب الطّاولة ما دمت مستعدًّا".

المرّة الأخيرة التي رأيتهما يتحدّثان فيها سأل أبي "وحيدا" عن جاهزيّته:

" أمستعدّ للمواجهة ؟".

فيردّ "وحيد" بثقة لم أعهدها عنه من قبل، و بصوت جهوريّ قويّ لم أسمعه قبل اللّحظة:

" بل قُل أأنت مستعدّ للفوز ؟ إجابتي: مستعدّ ".

يضحك أبي ضحكًا عاليًا، و يربض على كتف "وحيد" الجالس بجانبه، يبتسم هذا الأخير ابتسامة الواثق من نفسه، رأيتهما دون أن يرياني فقد اجتهدت في التّخفي، و اكتشفت أنّهما يحضّران لمفاجأة لم تخطر ببال.

أعود كلّ مرة إلى غرفتي داعيةً الله أن يوفّقهما لما فيه خير للكلّ، منتظرة اليوم الموعود بشوق كبير.

الفصل السّادس و عشرون: الاستعداد

تربّص مغلق لمدّة أسبوع، و كأنّه نظام عسكريّ بقوانين صارمة، لا دخول عليهما و لا مقاطعة لهما، غارقان في ملفّات يدرسانها في المكتب و مرّة على مرّة يخرجان مع بعض لاحتساء القهوة ثمّ يعودان لما كانا فيه من عمل، تساءل العديد من الموظّفين عمّا يجري، ما الذي يفعله المدير مع الشّاب في المكتب، إلاّ أنّ سريّة هذا الأمر بقي بينهما دون إجابة.

في الحقيقة، كانا يتدارسان مختلف الاحتمالات المتعلّقة بالتّفاوض حين بيع أو شراء الأسهم، كذلك فيما يخص نسبة اليد العاملة في الشّركة الجديدة، عن كيفيّة إمالة الكفّة لشركة "الغد"، و كلّ الخطط الممكنة لإنجاح الصّفقة، كتب و ملفّات كثيرة على المكتب، جبل من الأوراق، و العديد من المجلاّت هنا و هناك، الرّائي يجزم أنّه طالب مقبل على مناقشة رسالته، مع أستاذه المشرف يستعدّان ليوم الفصل، لكنّ الأمر أكبر و أخطر أيضا.

إنّها فرصة العمر بالنّسبة للسيّد "توفيق"، و على الجماعة المفاوِضة أن تكسب الرّهان دون تنازلات.

لم يكتفِ "وحيد" بالسّاعات الطّويلة التي يتدرّب فيها مع المدير، فبعد العِشاء يُغرق نفسه في الأبحاث و قراءة المقالات الخاصّة بالتّسيير و الاقتصاد، في بعض الحالات حتّى يؤذّن الفجر فلا ينام، و يكمل بعد صلاة الفجر للصّبح، يصلّيه أيضا و يعود، حتى إذا حان وقت العمل، غيّر ملابسه و استعدّ، يأخذ ملاحظاته المكتوبة على أوراق بيضاء يراجعها في الحافلة التي تقلّه إلى موقف قرب شركة "الغد"، فتبقى عيناه في تلك الأوراق تفحصها و تنبشها نبشا، يمشي و هو يقرأ حتّى إذا دخل الشّركة توجّه مباشرة إلى مكتب المدير، يستأذن فيُؤذن له، يدخل ليكمل معركته، و هكذا كلّ يوم، رغم التّعب و قلّة النّوم، كانت إرادة الفتى أكبر و أصلب، لم يعر كلام أمّه و أخواته حينها اهتماما، و كذلك وصيّة السيّد "توفيق" بضرورة الرّاحة، فقد كان جوابه دوما:

" بعد انتهاء اللّقاء و إمضاء العقد بالشّروط التي نريد أرتاح".

لم يُعلم "وحيد" عائلته بعد بترقيته، آثر أن يجعلها مفاجأة، أخفى أحاسيسه و رغبته الكبيرة في إدخال السّعادة على قلوبهنّ بنجاح، فضّل أن يتفرّغ أوّلا لقضيّة العقد.

هكذا كان الأمر طيلة ذاك الأسبوع، تدريب متواصل، و كانت النّتيجة مذهلة، فقد صار "وحيد" إنسانًا آخر غير الذي كان من قبل، تحوّل كبير في شخصيّته، صار الآن واثقًا من نفسه، حادّ النّظرة، متّقد الذّكاء، سريع البديهة فطن، أكثر هدوءً و رصانة، صاحب رأي نافذ، حضّره المدير للقاء الغد أفضل تحضير، فالمنصب الجديد الذي ارتقى إليه مؤخّرًا يستلزم ما وصل إليه من كفاءة، و ما عليه الآن سوى إظهارها في الوقت المناسب.

هل سيكون قدر المسؤوليّة التي كُلّف بها ؟

غدًا بإذن الله الجواب.

الفصل السّابع و عشرون: وجها لوجه

اليوم الذي انتظره الكلّ، يوم المواجهة.

و لأنّه يوم خاص، اتّجه السيّد "توفيق" رفقة "وحيد" و ممثّلين عن الإدارة في سيّارة سوداء خاصّة إلى مقرّ شركة "برو وورك"، يخرج أربعتهم متّجهين إلى الباب، عن اليمين و الشّمال أعوان أمن بلباس كلاسيكيّ و نظّارت شمسيّة سوداء، يفتح الباب أحد الأعوان فيدخلون، و أوّل ما دخلوا أُلقيت عليهم التّحايا من كلّ جانب من طرف موظّفي الشّركة، كان المدير العام لشركة "برو وورك" السيّد "صفوان مالِك" في الاستقبال رفقة مستشارته الجديدة، ما إن رأى "وحيدا" بجانب "توفيق" حتّى تصلّب مكانه و لم يستطع النّطق بكلمة، الدّهشة عقدت لسانه:

" ماذا يا سيّد "مالِك" ؟ ألن تحيينا كما هي عادة الكرام ؟".

أحرج "توفيق" "مالِكًا" فصافحهم و يده ترتعش، خصوصا حينما صافح "وحيدا"، يبتسم هذا الأخير و يقول:

" مرّة أخرى نلتقي، كم هي صغيرة الدّنيا".

كالصّاعقة نزلت هاته الكلمات على نفس "مالِك"، نزع يده سريعًا من يده، ثمّ استدار و أكمل طريقه، لم يكن يتخيّل أنّه سيلتقي مرّة أخرى بموظّف طرده من شركته، طفق يسأل نفسه دون توقّف:

" كيف هذا ؟ أهو أحد أعضاء اللّجنة المفاوضة ؟ ما الذي يحصل بالضّبط ؟".

يمشي أعضاء اللّجنة في ردهة الشّركة فيتذكّر "وحيد" الأيّام العصيبة التي مرّت عليه، يقلّب بصره في أنحائها، و ينظر إلى بعض عاملي النّظافة الذين يعملون دون أن ينتبهوا لهم، فيترك "وحيد" الجماعة و يذهب إليهم ليحيّيهم فيقول:

" السّلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، كان الله في عونكم إخوتي".

فيردّ عليه بعض المنظّفين و الدّهشة تغمرهم:

" و عليكم السّلام، بارك الله فيك أخي".

لم تفارقه أنظارهم حتّى توارى عنهم، فيسأل "مالِك" "توفيقا" مستهزئا:

" ماذا يفعل مساعدك ؟ أيريد أن ينضمّ إليهم ؟".

يضحك ساخرًا، لكن سرعان ما توقّف بعد أن سمع ردّ "توفيق":

" ليس مساعدي، و كذلك يفعل لأنّه إنسان، التّعالي ليس من شيمه".

أفحمه بردّه.

يتّجهون الآن نحو قاعة الاجتماعات، في موكب يمرّون على مختلف المكاتب، الآن و بالذّات على مكتب مسؤولة التّوظيف، الآنسة "مكارم ملاك"، تجاهلها أبوها رغم علمه بمكان مكتبها ، لكن "وحيدا" لم يستطع، التفت نحوها، رآها جالسة تنظر فيه و هي مبتسمة من خلال زجاج بالكاد عزلهما، يبادلها الابتسامة بسرعة قبل التّواري، لحظة سحريّة رفعت معنويّات الشّاب.

بعد وصول الجماعة إلى قاعة الاجتماعات يأخذ كلّ مكانه، لتبدأ عمليّة توقيع عقد الإدماج سريعا و دون انتظار، تمرّ السّكرتيرة عليهم واحدًا واحدًا لتعطيَ كلّ حاضر نسخة من العقد، ليشرع الجميع في المراجعة.

بسرعة يكمل "وحيد" قراءة العقد، يضعه على الطّاولة و ينتظر الباقين، يحتار فيه الحاضرون، بعد لحظات يكمل الكلّ، فينطلق "مالِك" قائلا:

" الآن و بعد مراجعة كلّ بنود العقد، يمكننا أن ...".

يقاطعه "وحيد":

" سؤال يا سيّد "صفوان"، مستشارتك أنثى، السكرتيرة أنثى، و تقريبا كلّ موظّفيك إناث، ما سرّ ذلك ؟".

سؤال لم ينتظره أحد، يضحك "توفيق" و يقول:

" يقال عنهنّ "الجنس اللّطيف"، و أنت أعلم بالمعنى يا لبيب".

يضحك "وحيد" و يردّ:

" آه، "الجنس" و هو "لطيف" ... فهمت الآن".

شعر"مالِك" بالغضب، فقد تمّ إحراجه أمام الجميع بجرأته، فردّ على هذا الاستفزاز قائلا:

" يا سيّد "توفيق"، مستشارك يقلّل من احترامي، من فضلك كن صارما مع موظّفيك و علّمهم معنى أن تكون ضيفًا مدعُوًّا".

ينظر "توفيق" في "وحيد" ثمّ في "مالِك" و يقول:

" أخطأت للمرّة الثّانية، ليس مستشاري".

لم يفهم جيّدا ما قاله، فسأل "مالِك" "رفيقا":

" إذن من يكون ؟".

بصوت هادئ يردّ:

" هو المدير العام الجديد لشركة "الغد" ".

و كأنّه طوفان، زلزال، إعصار، لم يصدّق السّامعون من شركة "برو وورك" ما التقطته آذانهم الآن، كلّ واحد ينظر في الآخر، مندهشين مستغربين، يضحك "مالِك" ... يظنّها دعابة:

" ليس وقت النّكات يا سيّد "توفيق".

" ليست نكتة بل هي الحقيقة، تنازلت عن الشّركة لصالح السيّد " ناجي وحيد" الحاضر هنا، هو الآن المالك الوحيد الشّرعيّ لشركة "الغد"، لن يكون هناك اتّفاق إلاّ بإمضائه هو، أمّا أنا فمجرّد مستشار".

الطّامة الكبرى حلّت على "مالِك"، اختلطت الأمور عليه فلم يجد الكلمات التي يعبّر بها عن دهشته و ذهوله، يبتسم "وحيد" لحظتها و يقول:

" متشوّق لأعمل معكم، و لأنّي على دراية كاملة ببنود و شروط توحيد الشّركتين فلا داع لأن نخوض في الأمر أكثر، ذلك مضيعة للوقت و مجلبة للملل، ملخّص القول أنّنا سنستفيد من ستّين بالمائة من الأسهم، و ثمانين بالمائة من نسبة الموظّفين من شركتنا نحن، إضافة إلى أنّ الأرباح المستقبليّة لن تكون مناصفة، بل بنسبة حدّدناها بخمسة و سبعين بالمائة مع الحفاظ على حقوق الموظّفين من أجر و علاوات، مكافآت و جوائز، الضمان اجتماعيّ و الحقّ في التّرقية كما هو التّعامل عندنا، كذلك بالنّسبة للتّقاعد و ...".

لم يتحمّل "مالِك" و من معه كلّ هذا الضّغط، فقام صارخًا:

" ما الذي تقوله يا هذا ؟ أتريد أن تشترِيَ شركتي بدينارَيْن لتضاعف أرباحك دون تعب ؟".

ينظر فيه "وحيد" مطوّلا، ساد الصّمت في القاعة، الكلّ ينتظر ردّة فعله، فكانت كما يجب أن تكون:

" اجلس و استمع لما أقوله، و لا تقاطعني مرّة أخرى، فمن فشل في تسيير شركته و أدّى بها إلى هاوية الإفلاس لا يحقّ له حتّى فتح فمه في مجلس يحضره أشراف هاته المهنة، نحن هنا لنُسديَ لك خدمة، لن يقبل أحد بشراكة معك فما بالك بتوحيد شركته مع مجرّد "أنقاض"، إن لم يعجبك الأمر رحلنا و تركناك تتمرّغ في وحلك القذر".

يحمرّ وجه "مالِك" و يبلغ به الغضب مبلغا لا يُقاوم، يندهش الجميع لما سمعوه من هذا الشّاب الذي لم يخف مواجهة الطّاغية، يُعجب "توفيق" بجرأته فيبتسم ابتسامة رضا و ارتياح.

" قلتُ لك اجلس ".

يجلس "مالِك" مقهورا لا يدري أين يخفي وجهه، يُخرج "وحيد" وثائقا من محفظته و يضعها على الطّاولة ثمّ يكمل ما بدأه:

" هاته تُضاف إلى شروط العقد الأصلي، ما تعلّق بالأرباح الآتية، و كذلك شروط أخرى عليك القبول بها الآن و تنفيذها فورا ".

ما الذي يريده يا ترى ؟

يمدّ "مالِك" يده و يتناول الوثائق التي وضعها أمامه "وحيد"، يقرؤها الورقة تلو الأخرى، و مع كلّ شرط يفتح عيْنيْه أكثر، إلى أن وصل للأخير فرماها من شدّة الغضب و قال:

" مُستحيل أن يكون ".

" إمّا هذا أو ننسحب".

يضع وحيد "مالِكًا" في موقف لا يُحسد عليه، يبقى محتارًا، بعد مشاورات سريعة بينه و بين أعضاء لجنته:

" قبلنا الشّروط المضافة، إلاّ الشّرط الأخير".

يضحك "وحيد" ثمّ يردّ:

" إمَّا كلّ هذا، و إلاّ العدالة، فبحوزتي أدلّة ماديّة على تورّطكم في قضايا فساد تبقيكم في السّجن مدى الحياة ".

لا حلّ آخر، لا مفرّ، وقع "مالِك" في شراك "وحيد" و وجد نفسه مضطرًّا للقبول بكلّ الشّروط قبل توقيع العقد.

" حسنا موافق".

قالها و مرارة الخسارة تكاد تقبض روحه، خرج الشّاب من الحرب منتصرًا.

" لا نريد تضييع الوقت، فليحضروا الآن" قالها "توفيق" مبتسمًا، فيرسل "مالِك" سكرتيرته لاستدعاء "كريم"،"فهيم"،"سعيد"، "جابر"،"ربيع" و كذلك نائبه "فريد" الذّي لم يحضر هذا الاجتماع و بقيَ في مكتبه.

وقفوا و الدّهشة بادية على أوجههم الخائفة، لا يصدّقون أنّ من كان البارحة "عامل نظافة" صار اليوم "مدير شركة ".

ينظر فيهم "وحيد" واحدا واحدا، مطأطئين رؤوسهم متفادين رؤيته وجها لوجه.

" ما بقيَ لكم سوى أن تقوموا بما يجب عليكم " قالها "توفيق" و هو ينظر فيهم، فتقدّم "كريم" و قال:

" سامحني على كلّ ما قمت به، أعترف أنّي كنت فظًّا معك، أخطأت بالفعل".

"سعيد": " نعتذر عمّا قمنا به".

"فهيم": " عذرا منك، فقد أعمانا الطّمع و الجشع ".

"جابر": " أعتذر عمّا بدر منّي".

"ربيع": " من فضلك سامحنا".

يتقدّم "فريد" ليقدّم اعتذاره هو أيضا لكن:

" هم نعم، تمكّنوا من الإيقاع بي بتلفيق تهمة باطلة ألصقوها بي فتمّ طردي، مع ذلك أسامحهم، باتوا موظّفين عاديّين لا يقارنون بما أنا عليه الآن، الحمد لله الذي رعاني و نصرني فوثق بي آخرون و أنا الآن مدير شركة، أمّا أنتما فقد كنتما قاضيا ظلم فيما وقع بيني و بين "نعيمة"، كنتما على دراية تامّة بخبايا الخطّة التي حيكت ضدّي، وعليه فلا أقبل لكما اعتذارا، و بموجب الشّروط الجديدة لإتمام العقد عليك و على المدير الحاليّ لشركة "برو وورك" الاستقالة من منصبيْكما دون رجعة، و فورًا".

ينظر "فريد" في "مالِك" مذهولا، غير مصدّق.

" وقّع و اذهب يا فريد، فلم يبق لنا مكان هنا".

قالها "مالِك" بحزن كبير، يتقدّم "فريد" و دون كلمة يُوقّع و يخرج من قاعة الاجتماعات مذلولا، يليه "مالِك"، ينهض، يُوقّع بدوره و هو ينظر في "وحيد"، هذا الشّاب الذي قلب عليه الطّاولة من حيث لا يدري.

يخرج من القاعة بدوره متثاقلا، يتبعه "كريم" و البقيّة، لتبقى المستشارة و السّكرتيرة واقفتيْن غير مدركتيْن لما تفعلانه، ينسحب "وحيد" و "توفيق"، و كذا عضويّ لجنة الإدارة، يخرجان من المقرّ، و في طريقهما يسأل "وحيد" "توفيقا":

" كيف أبليت ؟".

يبتسم "توفيق":

" كما لم يُبلِ أحد".

يبادله الابتسامة، و بأناقة يغادرون المقرّ منتصرين، تاركين رماد حرب انطفأت نيرانها توًّا، معلنة فوز الخير على الشّر كما هي عادة القصص و الحكايات، غير أن هذا واقع و حقيقة، فما أجمل أن يكون النّصر كذلك.

الفصل الثّامن و عشرون: "الغد" الآن

تمّ إدماج "برو وورك" في شركة "الغد"، و صارت واحدة، باسم "الغد" دائما، على رأسها المدير الجديد، "ناجي وحيد"، الشّاب الذي خالف كلّ التوقّعات و برهن على قوةّ و حزم في التّعامل مع من سبقوه خبرة في المجال.

أعاد ترتيب المسؤوليّات في الشّركة الجديدة، و فرض مراقبة خاصّة على بعض الموظّفين، جعل كلّا منهم في منصبه الذّي هو مخوّل به، فتح أبواب الحوار و النّقاش، أعاد تأسيس أركان شركة تشدو المستقبل اليوم بمساعدة "توفيق" مستشاره الحاليّ.

تحسّنت الأمور كثيرا و تعدّدت الشّراكات بين "الغد" و شركات أخرى وطنيّة و أجنبيّة كثيرة، ذاع صيت الشّاب الذي بإرادته و قدرته و باجتهاد عمّال و موظّفين أكفّاء تمكّن من قيادة "إمبراطوريّة" نحو النّجاح.

تنامت شهرته و زادت الأرباح، فوصل إلى ما لم يصله شاب لم يتجاوز الثلاثين، كان و لا زال معجزة حيّة، نموذج المناضل العنيد.

الشّركة بين أيدي أمينة ما دام قائدها يسيّر شؤونها بيد حريصة على الكدّ و العمل، راغبة في المزيد بعقول فكّرت و لا تزال، بعرق جُبُن قدّمت و تقدّم ما أمكنها في سبيل بلوغ قمم تنتظر من يعتليها.

نعم، لكن ماذا بعد ذلك ؟ ماذا بعد المجد ؟

الفصل التّاسع و عشرون: الخطوة الموالية

كلّما وصل الإنسان إلى هدف رسم آخر أسمى ليحقّقه، هذه هي طبيعة الإنسان و التي تحثّه دائما على البحث أكثر لما هو أفضل.

بالنّسبة لـ "وحيد" الخطوة الموالية هي أن يفكّر القائد في نفسه بعدما فكّر في الجميع، أن يحوّل اهتمامه الآن إلى ما ضحّى به في الأوّل: حياته الشّخصيّة.

كثيرا ما يضيع النّاس في وهم الحياة، يظنّون أنّ تفوّقهم المهني هو الهدف الإنساني الأعلى، فينسوْن بل يتناسون ما هو أهمّ: العلاقات الإنسانيّة، الصّداقة، صلة الرّحم، الحبّ، الزّواج ...

أنجز "وحيد" ما عجز عنه الكثيرون، لكن إن قلّبنا أوراق نجاحاته نجدها متعلّقة فقط بعمله، في حين انّ أبسط الأمور التي يجب أن تكون في حياته فوّتها، كمجرّد اللّعب و التنزّه، السّفر، قراءة الكتب أو المشاركة في مباريات لكرة القدم، يخيب الإنسان و يخسر إذا وصل إلى سنّ الستّين أو السّبعين و يجد نفسه ضائعا في بحر ثّروة لم يستفد منها، ترك "إنسانيّته" و "طبيعته" رهينة المال و الأعمال، و لو اعتنى بنفسه لسُعد بالفعل، لفرح فرحةً لا تعوّضها سبائك الذّهب.

يفكّر "وحيد" بالخطوة الموالية، بعد أن عدّل أموره و سوّاها على أكمل وجه، بعد تحسين ظروفه الاجتماعية و الأسريّة، بات يُشغله الآن أمر خاصّ، بات يبحث عن الاستقرار.

الفصل الثّلاثون: ملاك و وحيد

" تفضّلي آنسة "مكارم" ".

"مشكور أستاذ ".

لم أصدّق أنّه استدعاني لمكتبه، يا ترى ما السّبب؟

لاحظت عليه بعض التوتّر، لربّما ... لا لا، محض أوهام، سيكون الأمر أشبه بالحلم إن كان كما تخيّلت.

" استدعيتُك اليوم لأشكرك على كلّ ما قدّمته و تقدمينه لشركة "الغد" الجديدة، المنصب الذي تشغلينه مهمّ للغاية، فنوعيّة الموظّفين الذين يفتكّون مناصب في الشّركة ...".

لم أتابع ما كان يقول، في الحقيقة سرحت، بتّ أفكّر في أمور أخرى، و أنتظر كلمات غير التي كانت تخترق مسامعي عُنوة، كنت أنتظر في ...

" آنسة "مكارم"؟ هل أنتِ معي ؟".

" نعم، آسفة يبدو أنّي سرحت للحظة".

" لا بأس، المهمّ في كلّ هذا هو أنّك معنا، نحتاجك دوما معنا يا آنسة".

" و أنا سأكون و أبقى إن شاء الله في شركة "الغد"، صحيح أنّي قرّرت الخروج بعد انتهاء مدّة تربّصي للبحث عن فرصتي في شركات أخرى، لكن بعد تولّيك زمام الأمور قرّرت أن أبقى".

كلماتها هاته هزّتني من الدّاخل، شعرت بفرحة غمرتني لم أشعر بها من قبل.

" أشكرك أيضا على تدخّلك في أمر قضيّتي مع السّكرتيرة، فضلك عليّ كبير، بفضل الله أولا ثمّ بتدخّلك و تعريفي لأبيك صرت إلى ما صرت إليه الآن، لك كلّ الشّكر مرّة أخرى".

صار قلبي ينبض بشدّة، لن أحتمل أكثر.

" لا داعٍ لشكري أستاذ، هذا من ذوقك، كما أنّ كلّ النّجاحات التي حقّقناها كانت بفضل قيادتك الرّشيدة، و كذلك جديّة و اجتهاد الموظّفين في عملهم".

" مشكورة آنسة".

يسود صمت للحظات، لا يدري أحدهما كيف يكمل حديثه مع الآخر، ما يخالج صدريْهما إحساس واحد، و مع ذلك ...

يا إلهي كيف أصارحها الآن ؟ كيف استطعت تحمّل مسؤوليّة شركة بأكملها و لم أستطع النّطق بكلمة واحدة لمن انتظرتُ أن أقولها لها بشغف ؟

" أهناك خطب أستاذ ؟".

" كلاّ لا شيء، سرحت أيضا".

تضحك "ملاك" ضحكا متقطّعا، فيردّ "وحيد" بكلّ عفويّة:

" ضحكتك ... جميلة".

"عفوا ؟".

يرتبك "وحيد" لكنّه مع ذلك يتشبّث بما قال فيعيد:

" قلت ... ضحكتك جميلة".

تخجل "ملاك" و تطأطئ رأسها، فلا تنطق بكلمة.

لم أفلح في جذبها، بل زدت الطّين بلّة.

كلامه ذاك زاد من ارتباكي، بل صرتُ أرتعش اللّحظة.

كيف أعالج الأمر الآن ؟ ماذا سأقول ؟.

ما الذي تخفيه يا "وحيد" ؟.

" آسف إن تسبّبت بإزعاجك، فما هي إلاّ ملاحظة بريئة".

تحزن "ملاك" و تقول في نفسها:

" ليتها لم تكن بريئة، و يا ليتها كانت مقصودة"

" حسنا، هذا كلّ ما في الأمر آنسة "مكارم"، يمكنك العودة إلى مكتبك و نحن هنا إن حصل أيّ مشكل".

تردّ عليه و الخيبة على وجهها ظاهرة:

" مشكور أستاذ".

تنهض و تخرج مسرعة عائدة إلى مكتبها مكسورة الخاطر.

" آسف، لم أستطع أن أقولها لك وجها لوجه، صعبة هي المشاعر الصّادقة، صعب أن تعبّر عنها بطلاقة، الحقيقة أنّي معجب بك و في نفسي نوايا طيّبة، لو تفتحين أبواب صمتي و تكشفين خبايا قلبي لكان الأمر أسهل بكثير، لكنّي لم أتركك تفعلين، فعلا أنا جبان ... لا تقلقي، لن أستسلم بسهولة على كلّ حال".

عادت "ملاك" متأثّرة حزينة إلى مكتبها، كانت تنتظر أكثر من ذلك، أكثر من مجرّد ملاحظة، تغلق الباب ثمّ تجلس، و بعدها تستسلم، تدمع عيناها دون قصد، دموع حارة هادئة، لكن قبل أن تملأ تلك الدّموع عينيْها اكتشفت وجود ورقة مطويّةً في درج مكتبها بعد تقليب عشوائيّ، لم تلحظ وجودها من قبل، تأخذها و تفتحها، في تلك اللّحظة تتوقّف الدّموع، و تنقطع في حينها أسباب الحزن و الأسى، تجحظ عيناها جحوظا بارزا، و كأنّه السّحر تمكّن من المسحور:

" أتعلمين ؟ نعتوني بالفاشل، حتّى أريتهم أقصى ما يمكنه إنسان، و لا زلت أروم ما لم أنله لغاية اللّحظة، أمّا الآن فأريد أن أفوز بشيء أظنّه بعيد المنال، أو قريبًا لا أدري، فكلّ ما أحسّ به متعلّق بك، و ما أبحث عنه موجود فيك، أريد الفوز بهذا الذي بين أضلع صدرك، أريد الفوز بقلبك ...

أنا الباحث " وحيد" ".

تتوقّف لحظات كانت أعواما و قرونا، تبكي بكاء الأطفال، بكاء السّعادة التي بحثت عنها فوجدتها، تضمّ تلك الورقة لصدرها و تضغط، و كأنّها تريد أن تدخلها في قلبها المشتاق، يُطرَق الباب المُغلق فتأذن لمن طرق بالدّخول دون أن تحرّك ساكنةً و دون أن تمسح دموعها رأته قادما من الزّجاج المقابل، يدخل "وحيد" مكتبها و عليه التوتّر بادٍ، فقد لمح الورقة على صدرها ما يعني أنّها قرأتها، يقف أمامها قائلا:

" ما ردّك يا "ملاك" ؟".

تقف بدورها و وجها لوجه تردّ بصوت مرتعش:

" لست فاشلا و لن تكون، و قد فزت بقلبي يا "وحيد"".

كلمات رنّانة، هادئة، قويّة، جمعت الجمال و الصّدق، جمعت ابتسامتين و فرحتين، جمعت قلبيْن، و ستجمع بالتأكيد مستقبليْن اثنين.